العلاقات المحرّمة
أسبابها وآثارها وطرق الوقاية منها

بقلم
الشيخ رائد الستري

الفهرس

المقدّمة

تمهيد

الفصل الأول: العلاقات المحرّمة

المقدّمات والأسباب التي تُهيِّئ للحرام وتدعو له

1- النّظر المحرّم
2- الاستماع للغناء
3- الاختلاط المحرّم
4- الاستمناء
5- مجالسة المنحرفين تجرّ إلى المعصية
6- الفراغ مفسدة
7- التعاطي السلبيّ مع الثّقافة المنحرفة والغربيّة

نموذجان من غزو ثقافة الغرب

1- الحبّ في مفهومه الصحيح

2- الحريّة في مفهومها الصحيح

آثار العلاقات المحرّمة

1- آثار العلاقات المحرّمة في تدمير الفرد
2- آثار العلاقات المحرّمة في تدمير الأسرة
3- آثار العلاقات المحرّمة في تدمير المجتمع

الفصل الثّانِي: نظرة إلى واقع علاقاتنا
1- العلاقة داخل الأسرة
2- العلاقة في إطار الصداقة
3- العلاقة في إطار العمل والدّراسة
4- العلاقة في إطار السفر
5- العلاقة مع وسائل التكنولوجيا الحديثة

الوسائل والتّحصينات التي تحول دون الوقوع في العلاقات المحرّمة

1- الزّواج وكراهيّة العزوبيّة
2- تنظيم العلاقة داخل الأسرة والأقارب
3- الغضّ من النّظر الشهويّ
4- الستر الشرعي والحجاب

5- الاتزان في حركة الأجساد وفي الكلام
6- التحلّي بالعفّة والحياء
7- الابتعاد عن المصافحة واللّمس للجنس الآخر
8- الابتعاد عن الخلوة المحرّمة
9- عدم التّشبّه بالنساء أو بالرّجال
10- الحد من انفلات واقع الاختلاط
11- التفريق بين الذّكر والأنثى في المضاجع
12- العقوبات الصارمة

المسؤوليّة في مواجهة العلاقات المحرّمة

* النهوض بفريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

* المسؤوليّة على الجميع

* مسؤوليّة الدول والحكومات

خاتمة: التوبة هي سبيل خلاص للمتورّطين

المقدّمة

في ظلام الآثام وارتكاب الموبقات، وعندما تسوّل النّفس لصاحبها أمرًا؛ لتجنح به عن ما رسمته له السماء من طريق على خطى الجِبِلّة والفِطرة السليمة ينفتح ذلك الباب الواسع باب الإنابة والتوبة مناديًا: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر :3.

وبقدر ما انحرف المخطئون، وعصوا جبّار السماوات والأرض إلا أنّ خطّ الرّجوع والإنابة إلى الله مفتوح حتى يُنفخ في الصور، وقِيام النّاس من الأجداث ينسلون[1].

ومن أبجديّات حركة التوبة والأوبة أنْ يعرف الإنسان حقيقة الرجوع، كما وأنْ يعرف أسباب ومسبّبات ما آلت إليه أمور تلك الساعات والأيام بل تلك السنوات من الضياع في محطّات الذّنب، ومن تسكّع على عتبات وموائد الانحراف والانحلال؛ كي يركِّز في عقله الواعي ويثبِّت برامج الحصانة والرّدع من مثل ما

---

[1] – قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ **يَنسِلُونَ**﴾، أي يهرولون ويسرعون. كتاب العين257/7، الخليل الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ، والدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية 1410هـ، مؤسسة دار الهجرة.

مُني به في الفترة المنصرمة، إذ الحياة طريقها شاقّ وطويل محفوف بالمكارِه والمخاطر والموبقات، وليس مفروشًا بالورد والياسمين خاصّة لأولئك الذين يشمخون ويتطلّعون إلى رضوان من الله سبحانه، فإنّ عثرات الشيطان وإغواءاته تترصّدهم من كلّ حَدب وصوب ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الأنفال:7.

ومن هنا ومن أجل معرفة الطريق بجلاء، ومن أجل عدم السقوط في مهاوي ومستنقعات الذنوب جاءت هذه الأوراق؛ لترسم الدّرب، وتضع النقاط على الحروف من خلال معرفة (العلاقات المحرّمة: أسبابها وآثارها وطرق الوقاية منها)، ولتمثِّل مشعلاً في سماء العلاقات؛ لننتخب معها أحد الطريقين: إمّا طريق السعادة الأبديّة، وإمّا طريق الشقاء الواهن.

تمهيد

* العلاقات حبال لا بدّ منها

الإنسان كائن مجبول على حبّ الاجتماع والالتقاء والأنس به، ومقت العزلة والوحدة والاستيحاش منها، لذلك نحن أنفسنا نعيش في إطار علاقات متنوّعة تبدأ بعلاقة الإنسان بنفسه وبأسرته، لتتسع بعد ذلك، فيؤلِّف لنفسه صداقات عديدة ومتنوعة في دراسته، وعمله، وسفره، وغير ذلك.

فالعلاقات إذًا هي تلك الحِبال التي تشدّ بعضنا بعضًا من دون أنْ نجد ملجأً أو مهربًا منها، بل نبقى في حالة من الالتزام والمسؤوليّة تجاه هذه الرّوابط والعلاقات، لأنّ بها نحيا ونعيش، وإذا سارت في مسارها الصحيح كانت عنصرَ التكامل والتّسامي للفرد والمجتمع؛ لنصل لمجتمع راقٍ وفاضل في صفاته ومعنويّاته.

فمساحة العلاقات في حياتنا مساحة مهمّة وكبيرة لا يمكن لنا أنْ نتغافلها أو نهملها، وكثرة التعاليم الإسلاميّة التي جاءت منظمة لمختلف تلك العلاقات تعكس لنا هذه الأهمية التي تحدثنا عنها.

* الإسلام يولي أهميّة لعلاقاتنا، ويؤكّد ضرورة وضعها في سياقها الصحيح

اعتنى الإسلام الحنيف بالعلاقات البشريّة اعتناءً بالغًا، وجعل لها منظومة متكاملة في جهاتها المختلفة تنظّمها، وتقنّنها تقنينًا يصبّ في صلاح الفرد والمجتمع، لنجد حثًّا من الإسلام نحو تأطير العلاقات بإطارها الصحيح والابتعاد عن تأطيرها بالإطار الفاسد المنحرف.

فها هو المولى سبحانه عندما يستعرض العلاقة الصحيحة بين الذّكر والأنثى يجعلها في إطار الزّواج، باعتباره العلاقة المشروعة، ويصفه بأفضل الأوصاف وأجملها، فيقول: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم/21.

حيث عبّر المولى سبحانه عن الزّواج بـ(الآية)، فهو هبة ونعمة ربانيّة، وهو تعبير يوحِي أيضًا بقداسة هذا الرّباط، وتدخّل العناية الإلهيّة بشكل خاصّ فيه بجعله رباطًا تتوافر فيه كلّ سبل الرّاحة، وهدوء النفس واستقرارها، والذي يستمدّ من عنصرَي المودّة والرّحمة بين الأزواج، ويكوّن نشاطًا نحو مزيد من الألفة والسعادة، والعِشرة الطيّبة.

هذه هي مكانة العلاقة الصحيحة في الإسلام بين الجنسين، علاقة مبنيّة على الهدوء والسكينة، والمحبّة والمودّة التي تبقيهما على مقربة من بعضهما في حالة من التجاذب، ورحمة وشفقة تمكّنهما من امتلاك صدر كبير وقلب عطوف يعطف على الآخر، ويغفر له زلاته وأخطاءه، ليصلا إلى حالة من التّكامل عبّر عنها المولى سبحانه: (مِنْ أَنْفُسِكُمْ)، فتكون الزّوجة هي نفس الزّوج، ويكون الزّوج هو نفس الزّوجة، ويعبر عنها النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) وهو ممّن وعاها: (ما بُني في الإسلام بناء أحبّ إلى الله – عزّ وجلّ– وأعزّ من التزويج)[1].

وعندما ننظر في إطار علاقة الإنسان مع المماثل له في الجنس نجد وصف الصداقة والأخوة، وغير ذلك من التعبيرات الجميلة، التي يمكن للإنسان من خلالها أنْ ينطلق في تأسيس علاقة أخويّة سليمة، وصداقة متقاربة قويّة.

عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله)[2].

---

[1]– ميزان الحكمة، الري شهري، ج 2 – ص 1178.

[2]- ميزان الحكمة، الري شهري، ج 1 – ص 40

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصديق أقرب الأقارب)[1]، و(الأصدقاء نفس واحدة في جسوم متفرقة)[2].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (من استفاد أخًا في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلبًا لمرضاة الله، فقد استفاد شعاعًا من نور الله)[3].

فالعلاقة عندما تسير في مسارها الصحيح، فإنّها لا تبتني على علاقة التجاذب بين الأجساد والأجسام، فتكون بذلك علاقة جوفاء خالية من الروح والمعنى، شبيهة بعلاقة البهائم وأشد سوءا (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) الفرقان/ 44، بل هي علاقات مليئة بالحياة وبألوان الطّيف التي تزّين الحياة نورًا وجمالاً يملأ الدنيا سعادة وابتهاجًا بالنظافة والفضيلة والسموّ.

فمِن كلّ ما سبق استخلصنا هذا المعنى، وإذا عكسنا المسألة كانت النتيجة على نقيض ذلك تمامًا، فإذا سارت العلاقات في مسارها المنحرف والمحرّم، فإنّها بلا شك تُوصل المجتمع بكلّ دوائره – الصغيرة والكبيرة – إلى دمار وخراب وفساد.

---

[1]– ميزان الحكمة، ج 2 – ص 1582.

[2]– المصدر السابق.

[3]– ميزان الحكمة، ج 1 – ص 40.

فالمعصية والمحرّم لا ينتج إلا الخراب والدمار لكلّ ما هو جميل في هذه الحياة، لنعيش بعد ذلك في طور من العذاب الدنيويّ قبل الأخرويّ، يقول الباري سبحانه وتعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم/41.

(فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) الفجر/12، 13.

* الإرشاد إلى العلاقات المحرمة نعمة إلهيّة

من نِعم الله سبحانه أنّه لم يترك الإنسان وحدَه هكذا يسير في دنياه من تجربة إلى أخرى، ومن إخفاق لآخر، بل أنعم وتفضّل عليه بأن أرسل له الرّسل مبشّرين ومنذرين، وهداة يهدون الناس ويرشدونهم ويعلمونهم.

يقول سبحانه: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) البقرة/151.

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) التوبة/33.

فمع وجود الهداية الإلهيّة جاهزة ومعدّة، فما الدّاعي للاجتهاد ومَضْيَعة الوقت في خوض التجارب، وتنظير النّظريات البعيدة عمّا دعا له المولى سبحانه؟!

فضلاً عن ثبوت حقيقة لا ريب فيها، وهي: إنّ التّقنين البشريّ رغم تقادمه، وكثرة تجاربه وتعاقبها لآلاف السنين جيلاً بعد جيل، ودولاً تتلوها أخرى، إلا أنّه يبقى قاصرًا عن الوصول إلى مراتب الكمال التي تضمن سعادة الإنسان ما دام بعيدًا عن الاستضاءة بضياء الهداية الإلهيّة.

فالإرشاد الإلهيّ إلى ما هو صحيح من العلاقات البشريّة وتمييزها عن تلك الفاسدة والمنحرفة يعدّ نعمة من نِعم الله علينا، ومظهرًا من مظاهر الشّفقة والرّحمة الإلهيّة بعبادِهِ.

فدعونا نتعرّف على التشريعات الإلهيّة التي بيّنت وحدّدت إطار العلاقات المحرّمة المنهيّ عنها، وآثارها المدمّرة، وطرق الوقاية منها، وكيفيّة مواجهتها إذ أصبحنا في هذا الزّمان بأمسّ الحاجة إلى ذلك بعد أنْ كثر المبطلون والمزيفون الذين يسعون ومن خلال مسمّيات جديدة منمّقة جذّابة أنْ يدخلوا الفساد لمجتمعاتنا، وأنْ يغرّروا بشبابنا وشاباتنا، يقول الباري سبحانه: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ غافر/5.

الفصل الأول

❖ العلاقات المحرّمة

❖ المقدّمات.. والأسباب التي تهيِّئ للحرام وتدعو له

❖ آثار العلاقات المحرّمة: دمار، وخراب

❖ نموذجان من غزو ثقافة الغرب

العلاقات المحرّمة

المعرفة بالأحكام المبتلاة أمر يجب أنْ يتوافر عليه كلّ مسلم ومسلمة، وأحكام العلاقات لا شكّ أنّها من تلك الأحكام التي من المهم جدًّا أنْ نكون على قدر وافٍ من الإلمام بها والإطلاع عليها، ولذلك لا بدّ لنا أنْ نتعرّف على ما لا يجوز لنا من تلك العلاقات وما يجوز، والمحرّم منها والمحلّل؛ كي نبتعد عن الوقوع في ما لا يرضاه الله لنا، يقول الباري: (وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) الأنعام/151، فعدم الاقتراب من الفواحش فرع معرفتها.

فنقول في ذِكر تلك العلاقات المحرّمة، وتعدادها ما يلي:

1- الزّنا فاحشة قبيحة

يقول الباري سبحانه في محكم كتابه المجيد: (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) الإسراء/32.

هذه الآية تعدّ صريحة في حرمة الزّنا، والتعبير القرآنيّ في هذه الآية يحمل جِهات عديدة الغرض منها التّأكيد على اجتناب هذه العلاقة المحرّمة، حيث عبر بـ(وَلا تَقْرَبُوا)، ولم يعبّر بـ(لا تفعلوا)، أو (لا تزنوا)، وكأنّما أراد من الإنسان أنْ يولّي بعيدًا عن هذه المعصية، ويبقى على مسافة أميال منها، إذ مجرد القرب منها منهيٌّ عنه، وسيتضح لك فيما يأتي كيف أنّ الإسلام لم يكتفِ

بتحريم الزّنا وفقط، وإنّما حرّم مقدّماته، وأسبابه التي تهيّئ له، وتمهد لوقوعه.

والتعبير الآخر الذي يُعطي التأكيد على حرمة هذه العلاقة قوله: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) "والفُحش، والفحشاء، والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والأقوال"[1]، وقوله: (وَسَاءَ سَبِيلاً) تُعطي توضيحًا إلى فساد هذا الطريق، وتأديته للفساد في المجتمع أيضًا.

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتل نبيًّا أو إمامًا، أو هدم الكعبة التي جعلها الله عزّ وجلّ قِبلةً لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حرامًا)[2].

* زنا المحارم والمحصن أقبح أنواع الزّنا

هكذا هو حجم معصية الزّنا، بحجم قتل النّبيين (عليهم السلام)، والأوصياء (عليهم السلام)، وهدم بيت الله الحرام، فالزّاني والزّانية عليه أنْ يدرك قبح هذه الموبقة وشناعتها عند الله عزّ وجلّ.

وأفظع الزّنا وأقبحه ذلك الزّنا الذي يقع مع المحارم والأقرباء، أو زنا المتزوّج والمتزوّجة.

---

[1]- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، ص 373 – 374

[2]- ميزان الحكمة – ج 2 – ص 1160

فقد ورد عنهم (صلوات الله عليهم): (مَن زنى بذات محرم حتى يواقعها ضُرب ضربة بالسيف أخذت منه ما أخذت، وإنْ كانت تابعتْ ضُربتْ ضربة بالسيف أخذت منها ما أخذت)[1].

ويقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (اشتدّ غضب الله – عزّ وجلّ– على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها، أو غير ذي محرم منها، فإنّها إنْ فعلت ذلك أحبط الله كلّ عمل عملته، فإنْ أوطأت فراشه غيره كان حقًّا على الله أنْ يحرقها بالنّار بعد أنْ يعذّبها في قبرها)[2].

وروي عنه (صلّى الله عليه وآله): (لمّا أُسري بي مررت بنسوان معلّقات بثديهنّ، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟، فقال: هؤلاء اللّواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم)[3].

والزّنا وهو إقامة العلاقة الجنسيّة الكاملة من دون عقد شرعيّ؛ بالإضافة إلى كونه محرمًا، فهو موجب للحدّ الشرعيّ المتمثّل في الجلد إنْ لم يكن محصنًا، وبالرّجم إنْ كان محصنًا، يقول تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا

---

[1]– الوسائل، العاملي، ج18، الباب27، ح1.

[2]- ميزان الحكمة – ج 2 – ص 1160 – 1161

[3]- (م.ن).

رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) النور/ 2.

ولا يعني ذلك جواز ما دون ذلك من استمتاعات جنسيّة أخرى!، فإنّ سائر الاستمتاعات الأخرى من لمس، أو تقبيل، أو ضمّ، أو غير ذلك حرام شرعًا ما دامت العلاقة الشرعيّة مفقودة مع الجنس الآخر.

* ممارسة البغاء والقوادة

إنّ حدّ الجرأة على الله وأحكامه بلغ بالبعض أنْ يتعدّى ممارسة الزّنا من إطار قضاء الشهوة والملذّة الشخصيّة؛ ليصل بها إلى إطار المهنة والوظيفة التي يجني منها السّحت (المال المحرم)، وما أعظمها من مصيبة!!

مكاتب تُفتح..، ومراقص تُستأجر..، وعقود زواج شكليّة تُستجلب بها الباغيات من كلّ حَدَب وصوب..، وأجور تدفع..، وملاهي تفتح..، وأزواج يدفعون زوجاتهم..، كلّ ذلك بمسمّيات برّاقة تخدع الرّأي العامّ، وتتستر على فضاعة وقبح هذا الإفساد المنظّم لإفساد شبابنا وشاباتنا.

فأيّ مراقب وقارئ لما يجري يُدرك تمامًا بأنّ المسألة تعدّت من كونها قضاءً لملذات مجموعات وأفراد من المترفين والمنحلين، فالمسألة الآن وصلت إلى مراحل متقدمة جدًّا من التّنظيم

والانتقاء والاستهداف الدّقيق لكلّ شمعة مضاءة بنور الدّين والإسلام.

فحذارِ حذارِ من أنْ تكون ضحيّة، أو طرفًا فيما يجري، وما تقوم به هذه العصابات المنظمة، فما عذر المرأة عندما تقف أمام الله سبحانه يوم القيامة وهي التي أجّرت فرجها وجسدها لكلّ طالب للزّنا ومعصية الله؟!

وما عذر الرّجل والشاب الذي استجلب هذه المرأة، ونظّم لها أمر الزّنا، أو دفع زوجته لممارسة الزّنا لقاء مال يفنى، ويفنى صاحبه.

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (ثلاثة لا يدخلون الجنّة أبدًا: الدّيوث..، قيل يا رسول الله: وما الدّيوث؟ قال: الذي تزني امرأته وهو يعلم)[1].

وعنه أيضًا (صلّى الله عليه وآله): (ليلة أسري بي.. رأيت امرأة يُحرق وجهها ويداها، وهي تأكل أمعاءها..، فإنّها كانت قوّادة)[2].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة: منهم الدّيوث الذي يُفجر بامرأته)[3].

---

[1]- ميزان الحكمة – ج 1 – ص 430

[2]– ميزان الحكمة – ج 2 – ص 1163

[3]– (م.ن).

* يعصون الله.. ويتعذّرون؟!

إنّ مشكلة فئة من الذين يعصون الله بالزّنا، أو بالقِوادة تتمركز على عذر الحاجة والاضطرار الجنسيّ، أو المادّي، بل ينظّر البعض ويبرّر تكاثر وتزايد مواقع البغاء والملاهي والمراقص والخمور بأنّ ذلك مورد كسب للبعض، أو موضع حاجة اقتصاديّة للبلد، أو أنّه من مقتضيات السياحة ومتطلباتها، وواقع هذه الأعذار واهٍ جدًّا إذ يكفي الإنسان أنْ ينظر إلى فئة من الذين آمنوا بالله واتقوه ليرى أنّهم يعيشون في حالة ضيق أشدّ وأقسى ولكن إيمانهم منعهم من أنْ يقترفوا ما يفعل أولئك.

فالمشكلة الحقيقيّة هي ضعف الإيمان بالله سبحانه وامتلاك الجرأة والشيطنة لاقتراف هذه الفاحشة الكبرى، وإلا فإنّ الوعد الإلهيّ واضح تمامًا للصابرين المتّقين، إذ يقول المولى سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا*) الطلاق/2، 3.

فالمؤمن والمؤمنة هما مَن يرضيان بما قسمه الله له في هذه الدنيا من رزق ونِعم، سواء أكان بسيطًا أم كبيرًا، فالزّواج رزق كغيره من الأرزاق والنِّعم الأخرى، فإذا مُنع عنك فاقبل بما لديك من نِعم أخرى، فالحياة لا تتوقّف عند مسألة الزّواج وفقط،

فليست السعادة الدنيويّة والأخرويّة محصورة فيه، فالحياة واسعة رحبة، فانطلق في أفقها ورحابتها الواسعة، ودُر في أفق وفلك طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله (صلّى الله عليه وآله) وأوليائه (عليهم السلام)؛ لتظفر بعد ذلك بالسّعادة التي لا أمد لها، ولا زوال.

هكذا هي السنّة الإلهيّة، بلاء.. وامتحان..، فإذا كان الصبر كان الظفر والفوز، يقول سبحانه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة/155.

2- اللّواط إسراف في معصية الله

العلاقة الثانية التي حرّمها الشارع هي اللّواط، وهي علاقة تقوم بين رجل وآخر، إمّا بممارسة تامّة يحصل فيها الإيقاب، أو دون ذلك كالضمّ، والمعانقة بالشهوة.

يقول الباري سبحانه: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) الأعراف/80، 81.

(وَلُوطًا آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) الأنبياء/74.

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) النمل/ 54،55.

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) العنكبوت/28، 29.

هكذا هي فاحشة اللّواط! فقد شغلت مساحة من الآيات القرآنيّة النّاهية عن فعله، واشتملت على تعبيرات قاسية في حقّه، إذ عبّر عنه بالفاحشة..، والمنكر..، وقطع السبيل..، والإسراف في المعصية..، والخبائث..، والفسق، والظلم..، والسيئات..، ثم بالعاقبة السيئة والشدّة في العذاب، يقول تعالى: (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) العنكبوت/34، (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) الأعراف/ 84، (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) هود/82، 83.

3- السحاق تمادي في الطغيان

إنّ العذاب لما نزل على قرية قوم لوط لم ينزل على الرّجال دون النساء، وإنّما نزل على الرّجال والنّساء معًا، إلا لوطًا وأهله دون امرأته (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ) النمل/ 57.

ولعل البعض يقول ما ذنب النّساء؟!

ذنبهنّ أنّهن كنّ يأتين بعضهم بعضًا (مساحقة)، كما يأتي الرّجال بعضهم بعضًا لواطًا، هكذا الطّغيان الذي كان عليه قوم لوط، سحاق.. ولواط..، ولم يكتفوا بالمعصية، فأخذوا يتجاهرون بها ويتباهون في نواديهم، واجتماعاتهم، وحفلاتهم، وسهراتهم، فكان الإسراف في المعصية!

حالةٌ من التّمرّد على الفطرة البشريّة التي خلقها الله سبحانه، وخرقٌ للقوانين التي تحفظ البشريّة، فكان لزامًا على الإرادة الإلهيّة أنْ تتدخل وتبيد هذه القرية بخسفٍ قلب عاليها على سافلها.

وهكذا هو حال اليوم كحال الأمس، وكأنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) كان يستشرف المستقبل عندما قال: (إنّ أخوف ما أخاف

على أمّتي من عمل قوم لوط)[1]، فاليوم تُعقد الحفلات، والتّجمعات، والسهرات لا لطاعة الله! بل لعصيانه – سبحانه وتعالى– طغياناً واستكبارًا، وتكبر المسألة وتأخذ مسارًا في التّمادي أكبر لتخرج من حيّز معصية الله سبحانه لحيّز عبادة الشيطان، والتقرب له!!

إسرافٌ، وإجرامٌ، وخبائثٌ ترتكب من قوم نسووا الله فنسيهم، لتأتي بعد ذلك مشيئة الله وإرادته في إهلاك هؤلاء، وإرسال البلاء والعذاب الألهيّ، إذ هي سنّة لا تتخلّف (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) هود/89.

المقدّمات والأسباب التي تُهيّئ للحرام وتدعو له

بطبيعة الحال معاصٍ بحجم معصية الزّنا، واللّواط، والسحاق غالبًا لا تحصل بشكل دفعيّ ومن دون مقدّمات تُهيّئ لهذه المحرّمات وتُمهّد لها، فالمقدّمات تعتبر الطريق الذي إذا بدأ فيه

[1]- ميزان الحكمة – ج 4 – ص 2806.

الإنسان وسار أدّت به إلى نتيجتها ومنتهاها، فكذلك مقدّمات الحرام هي الطرق الذي تتفرّع من الحرام لتوصل سالكيها إليه.
والإسلام عندما منع وحظر المحرّمات، ونهى عنها لم يمنعها، وينهى عنها مفردة، وإنّما حظر ومنع مقدّماتها الممهِّدة لها، وحرّمها أيضًا، ونهى عنها.
والمقدّمات التي تُعدّ المهيِّئ للعلاقات المحرّمة تتمثّل فيما يلي:

1- النّظر المحرّم

ينقل عن السيد المسيح (عليه السلام): (لا تكوننّ حديد النّظر إلى ما ليس لك، فإنّه لن يزني فرجك ما حفظت عينك، فإنْ قدرت أنْ لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل)[1].
نعم العين لها زنا من حيث أنّها تلتقط الملفّات والصور وترسلها للعقل والقلب؛ ليحتفظ بها ويهيم بها شوقًا؛ لتعيش النّفس في خيالٍ وغفلةٍ تُمكّن الشيطان من أنْ يرمِي حباله، ويصطاد صيده.
يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (العيون مصائد الشيطان)[2]، و(إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة)[1].

---

[1]- ميزان الحكمة - ج 2 - ص 1162.
[2]- ميزان الحكمة - ج 4 - ص 3288.

ويقول الصادق (عليه السلام) أيضًا: (يا بن جندب، إنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) قال لأصحابه. . .: إيّاكم والنّظرة، فإنّها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لِمَن جعل بصره في قلبه، ولم يجعل بصره في عينه)[2].

هكذا هو الشيطان! يدعوك لنظرة، ويأخذ في تبسيط المسألة ويصرُّ عليك قائلا: إنّها مجرد نظرة خاطفة سريعة تُشبع بها نفسك، ولا يراك فيها أحد!

إغواءات باطلة مزيّفة! لأنّ النّظرة ليست مجرد نظرة، بل هي بداية في الطريق نحو الحرام.

وكيف لا يراك أحد وهو المطلع سبحانه على خائنة الأعين وما تخفي الصدور (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ غافر) غافر/19، إنّها حبائلُ ومصائدُ يصطاد بها الشيطان ضحيّته، فاحذر!

2- الاستماع للغناء

كما العين تزني الأذن تزني أيضًا، فعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (على كلّ نفس من بني آدم كتب حظّ من الزّنا أدرك

---

[1]- ميزان الحكمة - ج 4 - ص 3288.

[2]- (م، ن)

ذلك لا محالة، فالعين زناها النّظر.. والأذن زناها الاستماع)[1]، فتحريم الشريعة النّظر، والاستماع للصور والقصص المثيرة جنسيًّا والمحركة للشهوة ليس اعتباطًا.

وهنا تبرز مسألة الاستماع للغناء بشكل شاخص معترض يحثّ على الزّنا والفجور ويدعو له، إذ الصوت الناعم الرّقيق بكلمات الباطل، الممزوج مع آلات اللّهو المصحوب بالمناظر الساقطة الرّخيصة ماذا تريد أنْ يورث في قلب الشاب والشابة؟

هل يورث تقوىً؟!

أم سموًّا في الذّات وتحليقًا في الآفاق!؟

أو ارتقاءً في ملكوت الرّوح والأنس والعشق؟!

لا والله فكما نطق بها الصادق الأمين (صلّى الله عليه وآله): (الغناء رقية الزّنا)[2]، فهو يحدث في النفس شوقًا للمعصية ولقيا الجنس الآخر، فكفانا مغالطات نغالط بها شبابنا وشاباتنا؛ ليقعوا بعد ذلك في الحرام من جراء ذلك.

3- الاختلاط المحرّم

---

[1]- ميزان الحكمة - ج 2 - ص 1161 - 1162.

[2]- ميزان الحكمة - ج 3 - ص 2313.

الاجتماعات واللقاءات التي تفتقد الموازين الشرعيّة، والتي يجتمع فيها الشاب والشابة من دون مراعاة للأحكام الشرعيّة هي بلا شكّ من تلك المقدّمات التي تهيِّئ للحرام، وتدعو للمجون والمعصية.

وستكون لنا وقفة معه.

4- الاستمناء

وهو وإن كانت ممارسة سرّية شخصيّة يعمد فيها الشاب أو الشابة بالعبث بنفسه حتى يُلقي ماءه، إلا أنّها مداعبة للشهوة وتغذية لنبتة المعصية في القلب، فالتّصورات التي يجلبها المستمنِي في عقله؛ ليحرك بها شهوته تُختَزن في العقل والقلب، متحيّنة الفرصة، كي تنفجر حلالاً أو حرامًا – والعياذ بالله –، وبما أنّها تصورات تكون في الحرام، فهي أقرب للحرام منها للحلال.

ولذلك مَن يُدمن على هذه الممارسة لا يصل للإشباع الجنسيّ عندما يتزوج، بل يبقى يمارس هذه العادة المحرّمة، وربما تحرك نحو الحرام رغم توافر الحلال لديه، وذلك أنّ المخيلة الجنسيّة لديه ابتنت على خيالات العلاقات المحرّمة، بل حتى الحرام – والعياذ بالله – لا يمكن أنْ يشبع هذه المخيلة أبدًا لسبب بسيط وهو أنّ المخيّلة تفوق في تصوراتها واقع العلاقات المحرّمة،

فالمخلية ترسم شكلاً واسعاً ومتنوعاً للعلاقات الجنسية لا يوفّره واقع الحرام الذي هو لذّة جزئية مؤقتة يعقبها ندم شديد.

5- مجالسة المنحرفين تجرّ إلى المعصية

الصديق والصديقة أمر لا يمكن للإنسان أنْ يستغني عنه، والأصدقاء يمارسون دورًا مهمًّا في تشكيل شخصيّات بعضهم البعض؛ ليصبحوا في النتيجة بأشكال متقاربة متجانسة، يقول الإمام عليّ (عليه السلام): (النّفوس أشكال، فما تشاكل منها اتفق، والناس إلى أشكالهم أميل)[1].

فالصديق – شئتَ أم بيت – يتأثر بصديقه، كما أنّ الصديقة هي الأخرى تتأثر بصديقتها، وهنا تبرز ضرورة التناصح والتساعد على البرّ وطاعة الله، فالمُعين على الطّاعة هو خير الأصحاب، ومَن كان معك صادقًا لا مجاملاً كاذبًا هو نِعْمَ الصّديق، فهو يمارس دور الصداقة بشكل إيجابيّ، يعمد من خلالها لتقويم النّقص والعيب في شخصيّتك لترقى وتسمو.

والدور الإيجابيّ إنّما يمكن أنْ يقوم به مَن كان مالكًا للخير لا فاقدًا له، إذ (فاقد الشيء لا يعطيه)، فمَن كانت نفسه مليئة باللؤم والمعصية لا يمكن أنْ يقدّم لك زهرة وشمعة تلوّن حياتك

---

[1]- ميزان الحكمة – ج 2 – ص 1582

وتملؤها ضياء، فهو سيقدم لك شوكًا يجرّح بها قلبك ويديك، ودخانًا يحجب عينيك، يقول الباري سبحانه وتعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ..) فصلت/ 25، ويقول الإمام علي (عليه السلام): (صحبة الأشرار تكسب الشرّ كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتنًا)[1].

ويقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "قيّضنا من (قيض) على وزن (فيض)، وتعني في الأصل قشرة البيضة الخارجيّة، ثم قيلت لوصف الأشخاص الذين يسيطرون على الإنسان بشكل كامل كسيطرة القشرة على البيضة، وهذه إشارة إلى أنّ أصدقاء السوء والرّفاق الفاسدين يحيطون بهم من كلّ مكان، حيث يصادرون أفكارهم، ويهيمنون عليهم بحيث يفقدون معه قابليّة الإدراك والإحساس المستقل، وعندها ستكون الأمور القبيحة السيِّئة جميلة حسنة في نظرهم، وبذلك ينتهي الإنسان إلى الوقوع في مستنقع الفساد، وتغلق بوجهه أبواب النجاة"[2].

6- الفراغ مفسدة

1- (م،ن).

2- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج 15 – ص 392.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنْ يكن الشغل مجهدة، فاتصال الفراغ مفسدة)[1]، لا نشكّ أنّ الإنسان بحاجة بعد زحمة العمل والحياة أنْ يأخذ لنفسه راحة، فلكلّ عضو من البدن استراحة، وإنّ السرور يبسط النفس، ويثير النشاط، فليس اعتراضنا على أصل الرّاحة والاستجمام إذ هو أمر مطلوب، وقد يصبح نوعًا من العلاج لبعض الأمراض النّفسيّة، والعُقد، والأزمات القلبيّة.

كلامنا عن تلك الرّاحة التي تمتدّ وتتصل لتقلب حياتنا إلى مساحة من الفراغ المتصل الذي ليس له انقطاع، واستجمام دائم.

فهذا النّوع من الفراغ هو الجالب للمفسدة والدّاعي لها، وهنا يكمن تحذير الشريعة من الفراغ، إذ عندها سينقلب على صاحبه، ويدعوه إلى الحرام والمعصية.

يقول سماحة السيد عبد الله الغريفيّ: "الحذر الحذر من الانسياق وراء أساليب الشيطان، وإغراءاته، وغواياته، وإذا كان الإسلام قد سمح للإنسان المسلم أنْ يرفّه عن نفسه، فإنّه لم يسمح له أنْ

---

[1]– ميزان الحكمة – ج 3 – ص 2412.

يعتمد الوسائل المحرمة.. كالحفلات العابثة الفاسقة، والبرامج اللاهية، والسفرات غير الملتزمة"[1].

7- التّعاطي السلبيّ مع الثّقافة المنحرفة والغربيّة

تقاربت المسافات، وفُتحت الشبابيك والمسارات، فأصبح الغزو بثقافة الغرب ماثلاً في واقع بلداننا الإسلاميّة، فها هي قنواتنا الفضائيّة تبث ثقافة الغرب وعاداته، وها هي صحفنا تنشر فساد الغرب وإغواءاته دون أنْ تراعي في ذلك كلّه ثقافة الإسلام أو مبادئه، أو يُراعى الحياء العام وعفته.

وقد أفرز هذا الفرض المتعمّد والقسريّ في ظلّ تغييب الثّقافة الإسلاميّة عن هذه المساحات الإعلاميّة المهمة واقعًا فرض على البعض التّعاطي معه بشكل سلبيّ، فها هو الخجل قد ارتفع، والحرج قد زال، ونحن ننظر ونشاهد عهرًا في التّلفاز ورقصًا ماجنًا، وأفلامًا لشبه عراة، وعرضًا لأجساد بمفاتنها لا فنَ فيها يهدف، ولا ثقافة تبني..!!

---

[1]- حديث الجمعة 39، السيد عبدالله الغريفي، موقعه الإلكتروني: www.alghuraifi.org.

ونتلقّى ذلك – مع الأسف الشديد – دون أنْ نحرّك ساكنًا، ولا حتى بإشاحة لأنظارنا، ومن دون خجل يعترينا والأطفال والأبناء من حولنا بحجة أنّه مشهد قصير ويمضي!!

تهاون في تعاملنا مع هذه الثّقافة المنحرفة والمنحلة، ماذا سيُنتج؟!!

سينتج ميلاً نفسيًّا نحو المعصية، وقبولاً وجرأة على ارتكابها بعدما نتلقى علاقة الزّنا من خلال المسلسلات الهابطة على أنّها علاقة حبّ ورمانسيّة مثيرة، ونتابعها بشغف كبير جدًّا حتى أصبح يزاحم إيماننا وطاعتنا لله سبحانه، وصرنا ندفع أموالنا لنرى مكان التصوير لهذا المشهد أو لذاك، أو لهذا البطل أو لتلك.

وقد كان الغرب ومثقفو الإشراك وأعداء الإسلام هم الذين يُعدّون لهذه المسلسلات وينتجونها، أمّا اليوم فالمسلمون أنفسهم هم مَن يُروِّج لها بعدما تبنّوها وآمنوا بها، فأصبحوا أعداء الدّاخل.

فالقناعة العقليّة والإيمانيّة لدى الإنسان المسلم بقبح الزّنا، وتحريم العلاقات المحرّمة يجب أنْ تبقى قناعة وثقافة محفوظة على أنّها من أفظع وأشنع القبائح التي لا يرضى بها الله سبحانه، والإصرار على مشاهدة ثقافة العهر والمجون ولو عن طريق التّلفاز، أو الإنترنت، أو الصحف، أو السينما يرفع هذه القناعة

ويبدّلها بقناعة جديدة هي (هذه العلاقات المحرّمة عادية، وأنّها أمر مألوف).

نموذجان من غزو ثقافة الغرب

تتعدّد أساليب الغرب في غزو ثقافة الإسلام، وتتفنّن في أساليب محاولة تدمير التّديّن، ونجد من أهم تلك الأساليب وأخطرها هي تلك الأنواع التي تعتمد على هدم القِيم والقناعات الإسلاميّة واستبدالها بأخرى ذات عناوين برّاقة ومحتوى من المعاني الخدّاعة التي تساعد على المعصية وتشجّع على التّحرّر من كلّ القيود والمبادئ.

ومن أخطر تلك القِيم التي يُعمل ليلاً ونهارًا لاستبدالها هما قيمتا الحبّ والحريّة، إذ يُروَّج لهما كثيرًا على أساس جمالهما، وانفتاحهما، وسموّهما.

فدعونا قليلا نسلّط الضوء على هاتين القيمتين، ونحاول أنْ نبلور نظرة الإسلام إليهما:

الحبّ في مفهومه الصحيح

الحبّ كلمة نتحفّظ كثيرًا عند إرادة التّلفظ بها، والحبّ موضوع نتحرّج عند إرادة الحديث عنه، أو تداوله في الإطار الشرعيّ،

ولكنّه في الواقع يمثِّل (الدينمو) المحرّك لكلّ العلاقات الاجتماعيّة الرّاقية والسامية بين أفراد المجتمع، ويعتبر العنصر الفاعل في حفظ هذه العلاقات وتقويتها سواء في الدّائرة الأسريّة ، أو الدّائرة المجتمعيّة.

إنّ الحبّ أُريد له – في الفهم الإسلاميّ– أنْ يتحرّك في كلّ علاقات الإنسان؛ ليضيف لها لونًا وطعمًا يساعده في الارتقاء والسمو بها نحو التكامل، وعندما نطالع التعاليم الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) نجد كمًّا كبيرًا من الأحاديث التي تنبّه على ضرورة تفعيل الجانب العاطفيّ والنّفسي الكامن في النّفس البشريّة، ونذكر منها:

– وما ورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (مَثَلُ المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى)[1].

– ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (ما التقى مؤمنان قطّ إلا كان أفضلهما أشدّهما حبًّا لأخيه)[2].

---

[1] – ميزان الحكمة 2837/4، محمد الريشهري، الطبعة الأولى، تحقيق وطبع ونشر: دار الحديث.

[2] – الكافي 127/2، الشيخ الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة 1365 ش، دار الكتب الإسلاميّة، طهران – إيران.

وعند التأمّل في هذه المرويّات ونظائرها نجدها تقدّم فكرة مهمة، وهي: أنّ تفعيل المودّة، والتراحم، والمحبّة، وكلّ هذه العناوين من شأنها الحفاظ على حالة التّقارب والتّلاقي، وتقوّي حالة التّرابط الاجتماعيّ؛ لتشكّل من المؤمنين جسدًا حقيقيًّا في وحدته المعنويّة، لنصل إلى وضع يكون فيه تأثّر أحد الأعضاء يعني تأثّر بقية أعضاء الجسم لوجود الترابط والوحدة.

وهكذا أراد الإسلام منّا أنْ نفعِّل الحبّ في كلّ جوانب حياتنا؛ لنعيش الانفتاح على الآخرين والقبول لهم.

ولكن دعونا نقف وقفة مع الحبّ في معناه الخاص والمتداول بين الناس، أعني حبّ الجنس الآخر؟!

إنّ حقيقة الحبّ هذا يمكن تفسيرها بأنّها حالة من الانجذاب يعيشها طرف تجاه طرف آخر، وحالة الانجذاب هذه يمكن أنْ نعزوها إلى سببين ونوعين:

* حبّ العقل للعقل والقيم

النوع الأول من الانجذاب هو الناتج عن الإعجاب بفكر الطرف الآخر، أو روحه، أو ثقافته، أو نحو ذلك، إذ أنّنا نجد أنفسنا منجذبين نحو الشخصيّات العلمائيّة والمثقّفة والمجاهدة ونحو ذلك انجذابًا للفكر والرّوح، والثقافة التي تتمتّع بها هذه الشخصيّات

بحيث يرتبط وجود الحبّ وبقاؤه بمدى استمرار وبقاء عناصر الإعجاب هذه، وهذا النوع من الانجذاب ليس مرفوضًا لا عرفًا ولا شرعًا، إذ أنّه يقع في دائرة العلاقات الطبيعيّة والإنسانيّة، بل إنّ هذا النوع من الانجذاب يمكن توظيفه بشكل جيّد بحيث تصبح له تأثيرات إيجابيّة على المحبّ، فيكون مدعاة له للارتقاء بمستوى روحه، وأخلاقه، وثقافته.

* حبّ الغريزة

السبب الآخر لوجود حالة الحبّ والانجذاب هي الغريزة، فقد تتوافر في الطرف الآخر بعض المقوّمات الجماليّة والشكليّة بحيث تُحدِث تفاعلات في نفس الطرف الثاني، فتراه ينجذب نحوه بدافع غريزيّ وفطريّ مثلما نجد النّفس تنجذب نحو الأكل والشرب، فالقوام الرّشيق والجمال كذلك يُحدث في النفس حالة من الانجذاب سواء كانت شعورية أم لا!

* نظرة الإسلام في الحبّ الغريزي

النّوع الثاني من الانجذاب والذي قد يتطوّر إلى حالة من الهيمان والذوبان ينبغي لنا أنْ نقف عنده لنفهمه فهمًا جيّدًا، ونوضح الرّأي الإسلاميّ منه، فنقول:

مشكلة هذا النوع من الانجذاب أنّه غالبًا ما يوظّف توظيفًا غريزيًّا في النّهاية مهما زعمنا أنّا نكوّن علاقة بريئة أو ما إلى ذلك، إذ أنّ المغذِّي لهذا الإنجذاب هو العنصر الغريزيّ، ومعنى ذلك أنّ الارتواء والإشباع لهذا الحبّ والانجذاب لن يكون إلا بالغريزة الفطريّة.

إنّنا نجد أنّ وجود هذا الحبّ مرتبط بما لدى الطرف الآخر من مقومات جماليّة، فعندما يفقد الطرف الآخر مقوّمات الانجذاب الغريزيّ يتلاشى تبعًا له ذلك الانجذاب والحبّ، فلذلك حرص الإسلام على أنْ تكون العلاقة بين النّاس لا على هذا الأساس وفقط، ففي علاقة الإنسان بالجنس المماثل كالذّكر بالذّكر، أو الأنثى بالأنثى يرفض تمامًا – وكما بيّنا سابقًا – أنْ يكون الدّافع في التقارب هو الغريزة.

أمّا في علاقة الجنس بالجنس الآخر، فإنّ الإسلام أراد أنْ يسمو بهذه العلاقة، فحبّب من المؤمن أنْ ينظر للمقوّمات الفكريّة والثقافيّة في الطرف الآخر، وأنْ يعتني بها، لأنّ تغليب هذا النّظر من شأنه أنْ يوجد انجذابًا في النّفس، وحبًّا تكون له القابليّة الأكثر في الاستمرار والبقاء، لذا ورد عن الرسول الأكرم

(صلى الله عليه وآله): (تنكح المرأة لأربع، لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[1].

ولكن رغم ذلك لم يمنع النّظر إلى المقوّمات الجسديّة والجماليّة – في إطار العلاقة الزّوجيّة الشرعيّة طبعًا، لأنّ التقاء هذا الجانب مع ذاك يعني تكامل الحبّ وسموه، أمّا خارج الدّائرة الزّوجيّة، فإنّ هذا النوع من الحبّ والانجذاب مرفوض، لأنّه يقود الإنسان إلى الانحراف عن الجادّة التي رسمها له الباري سبحانه وتعالى.

ولعلّنا يمكن أنْ ندعم ذلك بالواقع الاجتماعيّ، فهو زاخر بأمثلة كثيرة، ومن ذلك نفهم السرّ خلف كثرة التّشريعات التي وردت في الشريعة السمحاء والتي تبيّن ضوابط العلاقة بين الجنسين.

وأخيرًا أيّها الأحبّة،،

إنّ الإسلام أراد لعلاقاتنا أنْ تكون سببًا في ارتقائنا وسمو مجتمعاتنا، ولا شكّ أنّ تحريك العلاقات وبنائها على أساس غريزيّ لا يساهم في ذلك، فإذا أردنا أنْ نكوّن علاقة ما فلنجعلها في إطارها الشرعيّ صونًا لأنفسنا ولمجتمعنا، ولا نخادع أنفسنا

---

[1] – كنز العمال 16/ 296، المتقي الهندي، تحقيق وضبط وتفسير: الشيخ بكري حياتي، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفا السقا، سنة الطبع 1409هـ– 1989م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

ببراءة العلاقة تارة، وبأخويّتها تارة أخرى، فالبراءة والأخويّة ربما تكون محفوظة بين الطّفل والجدّ، أمّا بين شاب وشابة فعزّ وجودها، وندر وقوعها، بل هي بداية نحو العلاقة التي اذا لم يجمعها الحلال جمعها الحرام – والعياذ بالله –.

الحريّة في مفهومها الصحيح

الحريّة أمر جميل، وجميع المستضعفين في هذه المعمورة تنشد الحريّة وترجوها، فالحريّة هي كسر لكلّ تلك القيود التي تعيق حركة الإنسان نحو التّسامي والتّعالي والتّكامل، ولا نعني بالحريّة تلك التي تساوي التّفسخ والانحلال والانحطاط بالنّفس والذّات والمجتمع.

والمشكلة تكمن في هذه الفاصلة التي تفصل بين الحريّة بمعناها الصحيح والحريّة بمعناها الخاطئ، وكثيرًا ما نسمع هنا أو هناك كلامًا حول تحجّر الإسلام وتصادمه مع حريّة الإنسان، ولا سيما تلك الأبواق التي تعلو بين الفينة والأخرى مطالبة بتحرير الإنسان ونحو ذلك من شعارات برّاقة أخذت تسري وتنتشر في وسائل الإعلام والمنتديات، وغير ذلك.

فهل صحيح ما يدعونه، أو أنّ هناك مغالطة في البَين وتشويش؟ يمكن لنا أنْ نقول: إنّ الإسلام لم يكن ضدًّا لحريّة الإنسان بمفهومها الصحيح، وإنّما كان ضدًّا لتلك الدّعوات التي تدعو

لرفع كلّ القيود، وفتح كلّ الخطوط؛ ليتحرّك الإنسان في مسارات المعصية في كلّ جهاتها وانحطاطاتها.

فالإسلام دعا لحريّة مسؤولة؛ ليكون دور التحرير دورًا ايجابيًّا يجلب البناء للفرد والمجتمع وليس جالبًا للدّمار والخراب والقتل، إذ أنّ الحريّة المطلقة لم تجلب سوى هذه المفاهيم والآثار المنحطّة والمتسافلة أي معاني الدّمار والخراب والدّعارة والبِغاء والجريمة، وغير ذلك، إذ هي تعتمد اللّذة أساسًا في الحركة لرفع كلّ القيود التي تتنافى وشهوة ولذة الإنسان.

بينما الحريّة لمّا تكون مسؤولة، فإنّنا حينئذٍ نعطي الإنسان الخيار ولكن نقوم بتوعيته وتوجيهه نحو الخيار الأنفع له ولمجتمعه ونسأله عمّا اختاره، فإنّنا بذلك رفعنا الإرغام والاستبداد ولكن بنحو يعود على الفرد والمجتمع بنحو إيجابيٍّ لا سلبي.

ومسألة الحجاب – مثلاً – يجب أنْ تدرس في هذا الإطار، أي إطار الحريّة المسؤولة، فالمرأة مسؤولة ومطالبة بأنْ تبني مجتمعها وتحافظ عليه، فإذا هي اسفرت وتبرجت ومشت في طريق الإغواء، فهي تهدم المجتمع وتحرف شبابه، أمّا إذا هي تحجّبت وتقيّدت بقيود الستر الشرعيّ، فهي تساهم إيجابًا في بناء مجتمعها والحفاظ على شبابه.

هكذا هو الإسلام الذي يدعو لهذا النوع من الحرية المسؤولية البنّاءة.

وهكذا كانت كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) دقيقة في مضمونها واسعة في معانيها، عندما سأل الجارية في خارج دار بشرٍ في بغداد، وأصوات الغناء والمجون تتعالى من داره: صاحب هذه الدار حرٌّ، أم عبد؟ فأجابت الخادمة من منطلق الرؤية الأرضية المادية دون مواربة: بل هو حرٌ، فقال (عليه السلام): (صدقتِ لو كان عبدًا لخاف من مولاه..) إذ إنّ ما يدّعونه من حريّة ليس من الحريّة في شيئ، فالحريّة هي حريّة الفكر والعقل ليرى بشكل سليم وصحيح دون أن تكون لأغلال العقل والمادة والنفس والروح دور في تلبيد الرؤية لديه، وتشويه النظرة عنده، وهذا ما جعل بشر ترتعد فرائصه في لحظة يقظة إلهية، وإذا به يكسر المعازف والدفوف ويطرد الراقصات والماجنات، ويركض حافياً خلف الإمام (عليه السلام) نادماً سائلاً: سيدي هل لي من توبة؟.

آثار العلاقات المحرّمة

دمار وخراب!!

* هدفيّة تحريم بعض العلاقات

إنّ تحريم الشارع لبعض العلاقات ووصمها بالعلاقات المحرّمة لم يكن أمرًا اعتباطيًّا لا حكمة فيه ولا غاية، فالأحكام الشرعيّة تابعة لملاكات المصالح والمفاسد، إذ لا نتصوّر أنّ الرّبّ الحكيم يشرّع أمرًا تشهيًا أو عبثًا، وإنّما يكون تشريعه تابع لما يكتنف ذلك الأمر من مصلحة أو مفسدة، فإنْ كانت المصلحة في الأمر طاغية وغالبة وشديدة شرّع الله سبحانه الوجوب، وإنْ كانت المفسدة الشديدة هي الطاغية شرّع الله سبحانه الحرمة لذلك.

والعقل قد يستنتج ذلك ويحدسه، يقول السيد الشهيد الصدر (قده): "إنّ الأحكام الشرعيّة تابعة للمصالح والمفاسد والملاكات التي يقدّرها المولى وفق حكمته ورعايته لعباده، وليست جزافًا أو تشهيًا، وعليه فإذا حرّم الشارع شيئًا، كالخمر – مثلاً –، ولم ينصَّ على الملاك والمناط في تحريمه، فقد يستنتجه العقل ويحدس به"[1].

---

[1]– دروس في علم الأصول – السيد محمد باقر الصدر – ج 1 – ص 326.

فتحريم العلاقات التي ذكرناها سابقًا خاضع لهذا النوع من النّظام التي تسير عليه الإرادة الإلهيّة، فمنظومة الأحكام تمثّل الحكمة الإلهيّة والعقل الإلهيّ الكامل اللامتناهي في الدِّقة والنّظم السليم.

* أقنعة جديدة يزيّنون بها المعصية

وبعد ذلك فإنّ الإنسان مخلوق بعقل مهما كبر في ثقافته وعلمه، فهو قليل وضئيل جدًّا ولا يصلح لأنْ نقارنه بما لدى المولى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء/85.

كيف يمكن لهذا الإنسان أنْ يدّعي عدم صلاحيّة الأحكام الإلهيّة، أو أنّها لا تتناسب وتقدم العصر، وهي المجعولة لكلّ عصر وزمان؟!

إنّه لهتك لحجاب العبوديّة والرّبوبية لله سبحانه، وهي ممارسة يقوم بها البعض لتبرير ممارساتهم للمعاصي والذّنوب.

فحذارِ من أنْ نقع فريسة لمثل هؤلاء الذين يزيّنون المعصية، ويُلبسونها ألبسة أخرى.

والتّزيين، وتبديل الألبسة ولبس الأقنعة المزيفة وسيلة يتشارك في استعمالها هؤلاء والشيطان معًا، يقول المولى سبحانه: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الأنعام/43، (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ) الأنفال/48، فهي وسيلة ليست بجديدة وليس لها تاريخ انتهاء للصلاحيّة، فهي جارية في الأمم السابقة، وتجري في أمّتنا من خلال الأقلام المأجورة والمضلِّلة، وستجري في الأمم القادمة.

* لماذا حرّم الله هذه العلاقات؟!

يبقى من حقّك بعد ذلك أن تسأل: لماذا حرّم الله هذه العلاقات؟! ولكن هذا السؤال إذا لم تحصل على إجابة وافية له لا يبرّر لك أبدًا أنْ تستحلّ هذه العلاقات، إذ أن للتشريعات الإلهية غايات وأهدافاً وحكماً قد لا نصل إليها في بعض الأحيان، وهذا لا يعني عبثيّتها وعدم الغاية منها، فهي ذات غاية وحكمة عالية وإنْ خفيت عنّا.

ويمكن لنا أنْ نجيب على سؤالك هذا، بأنْ نقول:

إنّ الشارع المقدّس عبّر عن هذه العلاقات بتعبيرات قاسية جدًّا، كالتعبير عنها بالفاحشة والمنكر والجريمة وسوء السبيل وغيرها.

وقسوة هذه التعبيرات تقدّم لنا إضاءة مهمّة تُرشدنا إلى شدّة المفسدة التي تكتنفها هذه العلاقات المحرّمة، ويمكننا أنْ نستعرض بعضًا منها، وأنْ نقسّم آثارها إلى أقسام ثلاثة:

1- الآثار والمفاسد التي تضرّ بالفرد.

2- الآثار والمفاسد التي تضرّ بالأسرة.

3- الآثار والمفاسد التي تضرّ بالمجتمع.

وتوضيحها على النحو التالي:

1- آثار العلاقات المحرّمة في تدمير الفرد

إنّ ممارسة العلاقات المحرّمة تنعكس على الفرد سلبًا في جهات عديدة، فأوّل ما تُحدثه من دمار تُحدثه بالإيمان وعلاقة الإنسان بربّه، حيث يتدمّر الإيمان ويتلاشى شيئًا فشيئًا، حتى يجد الإنسان نفسه بعيدًا بمسافات كبيرة جدًّا عن خطّ الاستقامة مع الله سبحانه، فالممارس لهذه العلاقات كأنّما يُلقي بسجلّ إيمانه في محرقة لا تبقي ولا تذر.

فهذا على الصعيد الإيماني.

أمّا على الصعيد النّفسيّ فإنّ العلاقات المحرّمة تُوجد نمطًا منحرفًا وشاذًّا جنسيًّا يَخرُج بالخلقة عن فطرتها.

ومن تلك الأنماط الجنسيّة الشّاذّة – التي لا عدّ لها- مثلا:

- حبّ الممارسة الجنسيّة المحرّمة دون المحلّلة، فيصبح محبًّا للزّنا رافضًا لتكوين العلاقة الشرعيّة.

- الميل للجنس المماثل بعد الإسراف من الممارسة الجنسيّة المثليّة المحرّمة.

– الميل للإشباع الجنسيّ بالنّظر، أو الاستمناء دون الممارسة الجنسيّة الطبيعيّة.

– انسلاخ الرّجل من الرجولة، والمرأة من الأنوثة، لتكرّر لعب دور المرأة للرّجل، والرّجل للمرأة، في العلاقات المثليّة، فتتربى النّفس على الخنوثة، أو (البُويَة)!!

وغيرها من انحرافات جنسيّة عن الوضع الطبيعيّ الفطري.

كما وتُؤثر في صحة الفرد النّفسيّة حيث يعيش انطواءً وانعزالاً عن محيطه الاجتماعيّ الطّبيعيّ، ويميل لتكوين علاقات مع المتماثلين معه في انحرافه، ويشعر بالقلق والاضطراب، ويفقد الإرادة والعزم؛ لتَفتح المعصية كلّ أبوابها، وتقول: (هيت لك).

2– آثار العلاقات المحرّمة في تدمير الأسرة

إذا تمكّنت العلاقات المحرّمة من الأسرة سواء في ذلك تلك التّامة كالزّنا، أو اللّواط، والمساحقة، أو تلك التي تتمثّل بالنّظر واللّباس غير المحتشم وغيره، فإنّ ذلك يعني خراب الأسرة ودمارها، وفتح باب المعصية بمصراعيه بكلّ أنواعها وصنوفها، فتُترَك الصلاةُ، وتُهمَل الواجباتُ الشرعيّةُ، وتَعمّ الفوضى داخل الأسرة، وتَفسد علاقات الداخل بين الأب وابنه، وبين الإخوة.

3- آثار العلاقات المحرّمة في تدمير المجتمع

بعد دمار الفرد والأسرة لا يمكن أنْ ينحصر دمارهما فيهما وفقط، إذ لا يمكن أنْ نقول: إنّ دمار الفرد والأسرة لا يسري للمجتمع، إذ الأفراد والأسر هي المكوّن والمقوّم الأساسي له.

فلذلك إذا فسد الأفراد والأسر فسد المجتمع وانحطّ انحطاطًا بالغًا، وسرى وَباءُ العلاقات المحرّمة للمجتمع وعلاقاته، فيتفشّى الزّنا واللّواط والسِّحاق والسّفور، وغير ذلك، وتتبدّل القِيم الرّاقية بقناعات وثقافات ماجنة ساقطة تعتبر الرّقص فنًّا، والغناء إبداعًا، وعرض الأجساد بمفاتنه وعرّيه جمالاً ساحرًا، فتُنفق الأموالُ والطّاقات، وتعقد (المهرجانات) والحفلات، لا لرقيّ الإنسان وسموه بل لزيادة تسافله وانحداره.

هكذا يصبح واقع المجتمع.

* أطفال ضحايا للإجرام

وحش وغولٌ بشعٌ لا يفرّق بين الصغير والكبير، ولا القريب والبعيد، ولا تُثني عزمه فظاعة الجريمة وشناعتها، فالقلب قد امتلأ سوادًا وظلمة، واليد متلطّخة دومًا بوحل الجريمة، إنّه إنسان تعوّد أنْ يشرب من كؤوس المعاصي، فأصبحت تسري في دمه وشرايينه، وينبض بها قلبه ويهفو إليها.

فبمجرد أنْ يرى فريسة يكشِّر عن أنيابه، ويسيل لعابه دون أنْ ينظر إلى كبر أو صغر سنّ هذه الفريسة، أو قُربها أو بعدها عنه، فينقضّ عليها انقضاضًا، ويغرس أنيابه الحادّة في جسدها؛ لتنهش طراوة اللّحم، وهشاشة العظم، وتحطّم براءة الطفولة أو البنّوة أو القرابة؛ لتخلّف قلبًا مجروحًا، وعقلاً مذهولاً لا يُدرك هول ما وقع عليه، فتكون الضحيّة، ويكون الطفل أو الطفلة المجروحة بجرح لا يندمل مهما تقادم به العُمر، ومرّت به السنون.

صبية وصبيات لم يبلغوا الحُلم ضحايا لشراهة الجنس وشذوذه لدى البعض ممّن تعوّدوا على الحرام وأدمنوه، هؤلاء الضحايا ماذا قد فُعل بهم يا ترى؟ وما ذنبُهم؟

هل لأنّهم أعطوا الأمن والحُبَّ لكلِّ الناس، فكانت المكافئة لهم الأكل لأجسادهم والتحطيم لطفولتهم؟!

إنّ الحرام إذا مورس مع الطفل، فإنّه يُحدث أثرًا بالغًا في نفسيّة هذا الطّفل المجروح، وصدمة لا يفيق من هولها إلا بمساعدة وعلاج صحيح، إذ أنّها تُحدث حرفًا لمسيرة هذا الطّفل في الحياة.

فحياته الطبيعيّة في سنّه المبكرة أنْ يعيش براءة الطفولة بعيدًا عن يقظة الشهوة والرّجولة، فإذا به يدفع دفعًا نحو مرحلة أكبر

من حجمه وعقله، فتكون ردّة الفعل – إنْ لم نعده وبقي يُجبر ويقهر على أنْ يبقى يمارس دورًا لا يدركه – رجلاً أو امرأة بعد ذلك محطّمة شاذّة ميّالة إلى المعصية، حاقدة على كلّ ما هو جميل في الحياة، لأنّ جمال حياتها قد تكسّر وضاع.
فما أفظع الحرام خاصّة عندما يُعتدى على الأطفال.

* لقطاء ضيّعتهم جناية غيرهم

من دون رحمة، ومن دون شفقة، تُلّف طفلة أو طفل رضيع، ليُلقى عند مكبّ للنفايات، أو على قارعة طريق، وبلا حول ولا قوة يستغيث بقوّة بكائه، وحرارة دموع تهطل كسيل المطر، وقلب متفطّر من هول المفاجئة التي اصطدم بها، فبدلاً من الأمّ الحنون التي تلف ولدها بذراعيها العطوفين إذا هي أمّ تقذف بولدها من دون رحمة، ولا شفقة.
واقع مؤلم ناتج عن شهوة لمريضين مارساها من دون النّظر في عواقبها، فكانت الضحيّة هذه المرّة طفلاً، أو طفلة بريئة يُقذف بهما، ليُوصما بعد ذلك في المجتمع بوصمة قاسية أرقّها (لقيط) مع أنّ المولى يقول: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الأنعام/164.
فذنب الأبوين هذين قد تحمّله هذا الطفل البرئي منهما، والجريمة هذه لا تتوقف عند هذا الحدّ، لأنّ بفعلتهما قد أضاعا الأسرة التي يمكن أنْ تُربّي وتُوجّه وتَنصح وتعلّم هذا الطفل، بل

وأضاعا حتى حقّه في أنْ يحمل اسميهما، فتتضاءل فرص الصلاح والهداية؛ ليعيش في ضياع دائم إلا من رُحم ممّن استقوى وشدّ عزمه نحو المضي قدمًا رغم الصعوبات؛ ليفوز بنفسه، وبربه، ودنياه، وآخرته.

فآثار الزّنا هنا كانت بإثارة الفوضى في النّظام العائليّ، وانقطاع العلاقة بين الأبناء وآبائهم.

* العذابات الإلهيّة وسخط الله

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (يا عليّ، في الزّنا ستّ خصال: ثلاث منها في الدّنيا، وثلاث في الآخرة، فأمّا التي في الدّنيا فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء، ويقطع الرّزق، وأمّا التي في الآخرة فسوء الحساب، وسخط الرّحمن، والخلود في النار)[1]، وهو حديث يبيّن أنّ لفاحشة الزّنا عواقب وعذابات إلهيّة، كما لسائر الذّنوب والعلاقات الأخرى أيضًا كما نقرأ ذلك عن قوم لوط.

والعذابات التي ذكرها النّبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله) على قسمين: عذابات دنيويّة، وعذابات أخرويّة.

فأمّا العذابات الدنيويّة، فهي:

---

[1]- ميزان الحكمة - ج 2 - ص 1161.

أولاً: الذّهاب بالبهاء، فلا عزّ لفاعلها وهو الذّلّ والمهانة التي لا تفارقه مادام عاكفًا على الزّنا.

ثانيًا: التّعجيل في الفناء وقصر العمر، فيُقصف قصفًا ويُبتر بترًا.

ثالثًا: الفقر وقطع الرّزق، فلا يحسبنّ أنّ بالزّنا يستغني، فالمال الحرام مسلوب البركة، فتسلب من نعمته بركتها، فيصرف ما يجنيه في المرض، وتلف النِّعم، ونحو ذلك.

وأمّا العذابات الأخرويّة، فهي سوء الحساب، وطول المكث، والدّقة المتناهية في إحصاء معاصيه إذ أنّه لا ينال لا رحمة من الله سبحانه، ولا شفاعة من الشافعين (عليهم السلام)، ثم سخط الله سبحانه هو الذي ينزل عليه، ليلقى في العذاب الثالث الذي لا يُرفع عنه ويبقى فيه خالدًا وهو نار الجحيم.

وبالإضافة إلى هذه الآثار والعذابات التي ذكرها الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) هناك آثارٌ أخرى كالزّلازل، والفيضانات والآفات السماويّة من انقطاع القَطر، وتفشي الوباء، وظهور أمراض جديدة، وكثرة موت الفجأة، وغيرها.

الفصل الثّانِي

- ❖ نظرة إلى واقع علاقاتنا
- ❖ الوسائل والتّحصينات التي تحول دون الوقوع في العلاقات المحرّمة
- ❖ المسؤوليّة تجاه العلاقات المحرّمة
- ❖ خاتمة: التوبة هي سبيل خلاص للمتورّطين

نظرة إلى واقع علاقاتنا

* الصراحة وإنْ كانت قاسية

بعدما بلورنا ما يحرم من العلاقات، وما كان محلاً للنّهي الإلهيّ من علاقاتنا جاء الدّور لنقف وقفة صريحة مع واقع علاقاتنا المختلفة والممتدّة إلى جميع حيثيّات حياتنا، وهل فعلاً نحن

نعيش حالة من البُعد وعدم القرب من الفاحشة والعلاقات المحرّمة أو أنّنا نعيش فيها أو لا أقل نقترب منها كثيرًا؟!

هذه المساحة من الموضوع تثير حفيظتنا، ونهرب من الإجابة عليها، لأنّنا نخشى الواقع المصدوم، فنرى أنفسنا دائمًا نرّكز على تلك العلاقات الصحيحة، ونُشيح بنظرنا عن تلك العلاقات ذات البقع السوداء، لماذا؟!

هل أنّ إشاحة النّظر عن العلاقات المحرّمة التي تحدث هنا أو هناك تساعد في حلّ المشكلة؟

أو أنّها تقلب الظلام نورًا، والقبيحَ جميلاً؟

طبعًا لا وألفُ لا؟

إنّ السكوت عن كلّ ما يجري أبدًا لا يمكن له أنْ يعالج المسألة فضلاً عن أنّه يساعد في تفاقم المشكلة وتعاظمها.

ولا ينبغي أنْ نفهم من هذا الكلام على أنّنا ندعو إلى تلك المعالجات الخاطئة التي تعتمد فضح النّاس، وتتبع عثراتهم وسيلة وطريقة في العلاج؟!

إنّ المسألة أكبر من ذلك بكثير، وتحتاج إلى حكمة عالية، ووعي كبير يفرز معالجة صحيحة لا تضرّ بالمجتمع، ولا تهدم سمعة الفرد.

فدعونا نستعرض واقع علاقاتنا ومن ثمّ نتحدّث عن طرق المعالجة لها سواء تلك التي تناط بالفرد أم التي تناط مسؤوليّتها بالمجتمع.

1- العلاقة داخل الأسرة

الأسرة دعامة وركيزة أساسيّة في المجتمع، فهي الدّائرة التي تنتج أفراد المجتمع وتصدّرها، وهي المكوّن القريب الذي يؤثّر في صياغة الفرد ومن ثمّ صياغة المجتمع، فمتى كانت هذه الأسرة تعيش الإيمان والسلامة في علاقاتها عاش المجتمع أمنًا وسلامة بالتبعِ، ومتى ما اختل وارتبك الإيمان والانضباط في أسرة ما انعكس ذلك سلبًا على المجتمع ونسيجه.

ولو ألقينا نظرة على واقع أُسرنا سنجد أنّ هناك ضوءًا جميلاً تعيشه بعض الأسر – ولله الحمد –، ولكن هذا الضوء بدأ يخفت ويضعف حيث تكاثرت الأسر التي لا تبالي بما يفعله أبناؤها وبناتها من أفعال وممارسات داخل الأسرة نفسها، فضلاً عن خارجها، وبوجه خاصّ تلك العلاقات المحرّمة بين أفراد الأسرة.

ولسنا ندّعي ذلك جزافًا، فالمتتبع والمطلّع على قضايا ومشاكل العلاقات المحرّمة يجد كمًّا لا بأس به من هذه العلاقات تُمارس

داخل أفراد الأسرة، فهناك حالات من علاقة الأب بابنته أو بابنه، والخال ببنت أخته أو ابنها، والعمّ كذلك وغير ذلك من علاقات المحارم بعضهم البعض، أو علاقة الأقارب بعضهم البعض، كعلاقة بنت الأخ بابن الأخ، وغيرها.

وإذا غابت العلاقات المحرّمة التّامّة، فهناك التّحرّشات التي تحدث من تقبيل، أو تلمّس، أو غيرها.

واقع مؤلم لدى بعض الأسر يُنتج ضحايا لا تُبالي بعد ذلك بالفحشاء، ذلك لأنّها افتقدت الأمن ممّن كانت ترجو منه الأمن والاستقرار.

وهذا الواقع في هذه الأسر لم يأتِ هكذا مصادفة، وإنّما كان نتاجًا لوقوع بعض أفرادها فيما تحدّثنا عنه سابقًا من مقدمات الحرام أو في الحرام نفسه، فتمتلئ تلك الأفراد جرأة على فعل الحرام، ومخيلة واسعة جدًّا مليئة بصور الفحش تخطّت كلّ الحدود حتى لا ترى حدًّا، أو حاجزًا يمنعها من أنْ تمارس الجريمة والاعتداء على أقرب المقرّبين لها.

2- العلاقة في إطار الصداقة

الصداقة شيء جميل، ورباط رائع يربط الأجساد المتفرّقة بنفس واحدة متوادَّة متحابّة تتناصح وتتكامل في إطار صحيح من العلاقة الأخويّة القويّة، هكذا هي الصداقة.

ولكن ما أقبح بالصداقة عندما تسير في مسارها المنحرف، فتكون عونًا على العلاقات المحرّمة المتبادلة بين الصديقين أو الصديقات بعضهم البعض في مفهوم خاطئ جدًّا يعتمد العلاقات المحرّمة تفسيرًا لقوّة الأخوّة والصداقة، وهيهات هيهات أنْ تكون القوّة فيما حرّم الله سبحانه، بل هي ضعف وانقياد لوساوس شيطانيّة وتبريرات واهية لفعل فواحش لا يرضى بها الله سبحانه، ولا رسوله (صلّى الله عليه وآله)، ولا أولياؤه (عليهم السلام)، ولا حتى عادات المجتمع المسلم.

فأيّ أخوّة إيمانيّة ترضى بذلك؟!

وأيّ صداقة هذه التي تحثّ على فعل الحرام؟!

وأيّ حبّ هذا الذي لا يترجم في مساره الصحيح؟!

فبدلاً من أنْ تُترجم الصداقة بتسامٍ في الأرواح، وقوّةٍ في المحبّة، وتجاذبٍ في القلوب تُترجم بتسافلٍ، وعلاقات وضِيعة جسديّة بحتة عبّر عنها المولى بتعبيرات أقلّها الفاحشة، والمنكر، والجريمة.

هكذا هو واقع بعض علاقات الصداقة المنحرفة في مجتمعنا.

3- العلاقة في إطار العمل والدّراسة

العمل هو دائرة اجتماع مؤسسة بهدف معيّن هو العمل، وكذلك هي الدّراسة هدفها الدّراسة وتحصيل العلم، ولكن تجد في بعض

دوائر العمل والدّراسة المختلطة في بعض المحال والدّوائر والشركات علاقات مشبوهة تؤول إلى الحرام – والعياذ بالله –، وكذلك الأمر في الجامعات.

وهذه البقعة والمنطقة (العمل والدّراسة) تُعدّ من أكثر المناطق التي تحتضن العلاقات المحرّمة – والعياذ بالله–، وذلك لأنّها علاقات طويلة ومتكثّرة قد تفرض على بعض الأطراف انفتاحًا وتجاوزًا يُعطي الفرصة التي يتحيّنها لاقتناص الحرام ، فيصطاد أبليس فرائسه.

فاللامبالاة التي يمارسها البعض تحت مسميات أنّها كـ(أختي، أو أخي)، ثم ما تلبث تنقلب إلى مسمى آخر كـ(العشيق، والحبيب) مغالطة يقوم بها البعض منّا، من دون أنْ نلتفت أو نراعي ما رسمه المولى سبحانه، وقرّره من أحكام تنظّم علاقتنا بالطرف الآخر، وتضبطها وفق ضوابط تمثّل الحصانة للعلاقة من أنْ تقع في الحرام.

4– العلاقة في إطار السفر

أسفارنا في هذا الزّمان كثُرت وتنوّعت، وأصبح السفر في كلّ عام ضرورة عرفيّة، وإفرازًا طبيعيًّا لإرهاق العمل، وهو حقّ طبيعي للنّفس والجسد.

"ومن الواضح أنّ التّخفيف من أتعاب البدن يجدّد للإنسان طاقته وحيويّته ونشاطه، في حين أنّ الإرهاق البدنيّ يعطّل قدرات الإنسان، ويجمّد فعالياته"[1].

والمشكلة لا تكمن هنا ولكن تكمن في ذلك النّوع من الترفيه والأسفار إلى بلادٍ الغرض منها ممارسة الحرام بأنواعه المختلفة في سياحة ساقطة مبتذلة يقوم بها البعض من أبناء جلدتنا.

يعلق على ذلك سماحة السيّد الغريفيّ: (فالحذر الحذر من الإنسياق وراء أساليب الشيطان، وإغراءاته، وغواياته..، فلا يخلو بلد من بلدان هذا العالم من استعدادات كبيرة للسياحة الشيطانيّة» لا فرق في ذلك بين بلدان الكفر وبلدان المسلمين، فقد أصبحت السياحة الهابطة الفاسقة هي العنوان الأبرز..، وحسبكم هذه الإعلانات التي تضجّ بها الصحف ووسائل الإعلام المختلفة ممّا يندى له الجبين..)[2].

وكأنّ الاستجمام قد انحصر في الحرام، والسياحة لا تكون إلا في معصية الله سبحانه، وغضبه!!

هكذا ما يقوم به البعض في أسفارهم.

---

[1]- حديث الجمعة 39، السيد عبدالله الغريفي، موقعه الإلكتروني: www.alghuraifi.org.

[2]- (م،ن).

وإذا لم تصل المسألة إلى هذا الأمر، فإنّها تصل لا أقل إلى اختلال في الإيمان لدى البعض، إذ قد يسافر إلى المحطّات والأماكن الدّينيّة، ولكن لا يملك الإيمان فيها، فيقوم بتلويث تلك المناطق بأفعاله الدّنيئة، فيفقد لا الإيمان من نفسه فحسب بل يُفقد الإيمان والأجواء الدّينيّة في تلك المناطق المقدّسة أيضًا، وهنا يكمن عظم المشكلة، فلا نحترم لا أنفسنا ولا من نحن في وفادتِهِ وضيافته، فيا لها من مصيبة، وفعلة شنيعة نقوم بها.

5- العلاقة مع وسائل التّكنولوجيا الحديثة

ازدحمت حياة اليوم بوسائل التكنولوجيا الحديثة، من تلفاز، وإنترنت، وبلوتوث، وجرائد، ومجلات، وستلايت، وغير ذلك، وأصبحت تمثِّل ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة التي لا يمكن الاستغناء عنها أبدًا.

وبلا شكّ تحمل هذه الوسائل الحديثة الكثير من عناصر الثّورة الصناعيّة وكذلك العلميّة، فيمكن لنا من خلالها أنْ نستفيد منها بما ينعكس إيجابًا على بناء الذّات والمجتمع.

فلا نستطيع أنْ ننكر احتواء هذه الوسائل على ثقافة جيّدة، وفكر بنّاء في بعض جنباتها، وبعض أنواعها.

وعلى النقيض من هذه الاستفادة يقف التّعاطي السلبيّ والهدّام مع هذه الوسائل شاخصًا أمام أعيننا، ولعلّه الطّاغي والغالب على طريقة استفادة النّاس والمؤسسات من هذه التكنولوجيا.

* قنوات فضائية تروّج للفساد

لو أمسكنا التّلفاز أولاً وثورة الستلايت والقنوات الفضائيّة، وقارنّا بين حجم القنوات الساقطة والقنوات الهادفة سنجد أنّ القنوات الساقطة تملأ الفضاء وتتزاحم فيما بينها، والقليل القليل من تلك القنوات والبرامج الهادفة.

ومن عجائب هذا الزّمان أنّ من رَذَالة هذه القنوات الساقطة أنّها تتنافس بطرح كلّ ما هو جديد في إفساد شبابنا وشاباتنا من برامج تلفزيون الواقع، وبرامج منافسات الغناء، وبرامج الرّقص، وبرامج عرض الأجساد والمفاتن بدعوى الموضة والأزياء، والأفلام والمسلسلات الماجنة، وغير ذلك.

برامج كثيرة لا عدّ لها ولا حصر، لا تبني ولا بقدر أنملة، ولا حتى بحجر على حجر، فهي الدّمار لشبابنا وشاباتنا، وإغواء وإلهاء شيطانيّ يهدف في حركة منظمة لقتل كلّ تلك القيم الجميلة التي تمتلئ بها قلوب أبنائنا وبناتنا، واستبدالها بثقافة العريّ والخلاعة.

أيّها الأحبّة، لا نحتاج لأكثر من وقفة صريحة مع الذّات؛ لنجعلها تقيّم ما نراه، ونشاهده على هذه القنوات من برامج، ومسلسلات.

إنّنا لا ندعو جبرًا أنْ تملأ جميع مشاهداتك ومطالعاتك بالبرامج الجادة!

فاجعل لنفسك رواحًا ومستراحًا ترتاح فيه وتأنس، ولكن فتّش عمّا تأنس به من دون أنْ يُهدم الضياء من قلبك، ويُسلب الإيمان من روحك.

ألا تجد نفسك وأنت تشاهد مثل هذه البرامج أنّ نفسك تتوق للذّة الجنسيّة، وتشتاق لها ولو في الزّنا والحرّام؟ ألا تجد أنّ المفاهيم بدأت تتقلّب وتتعاكس، فيصبح مفهوم القُبلة والعلاقة مع الآخر – خارج الشرع – علاقة عاديّة لا ضير فيها؟

ألم تتحرّك بعد ذلك لإيجاد علاقات من هذا النّوع؟

صارح نفسك، واجلس معها، وأعطِ الفرصة لنفسك اللّوّامة والآمرة بالخير أنْ تتدخل لترجعك إلى المسار الصحيح.

* صحف ومجلات وإعلانات للعري والمُجون

قد يكون العنوان قاسيًا في نظر البعض، ولكنّه واقع معاش نعيشه في اليوم واللّيلة، وقد لا تمتلك إجابة منطقيّة تبرّر لك ما

يحدث، فلو كانت تلك المجلات والإعلانات تصدر من دول لا تعتقد بقيم الإسلام، وعادات المجتمع لكان الأمر مبرّرًا!

المسألة ليست كذلك فالمجلات، والإعلانات تصدر من مؤسسات ودور يملكها المسلمون، وما يزيد الأمر سوءًا، والطين بلّة أنّ الجهات الرّسميّة تراقب هذه المجلات، والإعلانات، وترخِّص لها؟!، بينما في المقابل هناك حرب شعواء على كلّ شعار دينيّ، أو كلمة هدى توضع هنا أو هناك، وتمارس شتّى وسائل الترهيب ضدّ أي إعلان يوضع على أطراف الشوارع – حتى ولو كانت شوارع داخليّة – يذكِّر النّاس بالآخرة، أو يمثِّلُ إحياء لقيم الدين وشعائره، بل وصل التّعدّي السافر حتى إلى جدران المساجد والحسينيّات؛ لتزال وبوقاحة كلّ كلمة هدى ورشاد.

إعلانات، ومجلات بصور فاضحة جدًّا، وعرض لأجساد ومفاتن الإغراء التي لا يمكن للإنسان أنْ يحجب فطرته، وطبيعته عندما ينظر إليها لولا الإيمان؟

وما يُضحك الإنسان هو ما يدّعيه مروّجو هذه الإعلانات والمجلات ومُلاّكها من كونه ترويجًا للمنتجات، أو للموضوعات، وهو في الواقع ترويج للانحرافات وللزّنا وللعُهر وللمُجون، هذا واقع الأمر بلا زيادة ولا نقيصة.

فكيف والحال هذه تقبل لنفسك أنْ تشتري هذا النوع من المجلات؟

أو أنْ تُشاهد هذه الصور؟

عليك أنْ تبقى بعيدًا عن هذا النّوع من المجلات؛ كي تبقى في سلامة من دينك، فهي كوباء الطّاعون الذي يفتك بكل مَن يقترب منه.

* الإنترنت سلاح ذو حدين

من أقوى وسائل الثورة والطفرة التّكنولوجيّة هي الشبكة العنكبوتيّة (الإنترنت) حيث قرّبت من المسافات والثّقافات، ومكّنت من الإطلاع على كلّ ما هو جديد وأينما كان في سرعة كبيرة.

ويحوي الإنترنت الكثير من المواقع المفيدة والبنّاءة في مجالات شتّى مختلفة كمجال الدّين والإسلام، وكتلك التي تعتني بالقرآن، والفقه، والعقيدة، وغيرها، وفي مجال العلوم المختلفة كمجال الطبّ، والفضاء، والرّياضيّات، وغيرها.

وبجانب كلّ هذا الجمال هناك حدّ وجانب مظلم في الإنترنت، فهو قناة يمكن أنْ تستفيد منها في الخير والصلاح، كما ويمكن استخدامها في الحرام والفساد.

فالإنترنت يضجّ بتلك المواقع الإباحيّة، ومواقع الدّعارة والعُهر، ويستغل البعضُ هذه الشبكة المعلوماتيّة في تكوين العلاقات المحرّمة عبر التحدّث بـ(الماسنجر، أو البالتوك).

وهنا يجب أنْ نتنبّه إلى أنّ فقهاءنا لا يجوّزون الحديث الخاصّ عبر هذه القنوات ما دام يستلزم الوقوع في الحرام كما هو الغالب ولو بكلمة فاحشة، أو صورة فاضحة، أو غير ذلك.

فالحذر الحذر من التورّط في ذلك.

نقرأ كثيرًا عن قضايا من هذا النّوع كمثل ذلك الذي يهدّد فتاة ويجبرها على البغاء، لأنّه يمتلك لها صورة فاضحة، أو يجبرها على تحويل راتبها إليه أو غير ذلك، وما أكثر السذّج والساذجات الذين يقعون في مثل ذلك.

الوسائل والتّحصينات
التي تحول دون الوقوع في العلاقات المحرّمة

لم يكتفِ الدّين الإسلاميّ بالنّهي عن العلاقات المحرّمة، فشرّع مجموعة من التّشريعات التي تهدف إلى محاصرة الحرام وتطويقه بما يقلّل من فرص وقوعه متى ما اتّبعنا هذه التّشريعات، وسرنا على وِفقها.

فهذا القسم من التّشريعات التي نودّ أنْ نتحدّث عنها تمثِّل وسائل وتحصينات للفرد والمجتمع تحول دون وقوع العلاقات المحرّمة، ونذكرها على النّحو التالي:

1- الزّواج وكراهيّة العزوبيّة

وردت مجموعة من الرّوايات عديدة تنهى عن العزوبيّة، وترك الزّواج كمثل قول الرّسول (صلّى الله عليه وآله): (شرار موتاكم العزّاب)، (رذّال موتاكم العزّاب)، (... تزوّج وإلا فأنت من المذنبين)[1].

وهذا النّهي ليس منصبًّا ومركّزًا على العزوبيّة كعزوبيّة وفقط، وإنّما النّهي عنها ناظر إلى ما يترتّب عليها من آثار ومفاسد تُفسد صاحبها، فالإسلام "حكم بكراهيّة العزوبة، لأنّها تؤدّي إلى

---

[1]- ميزان الحكمة – ج 2 – ص 1180.

خلق الاضطراب العقليّ، والنّفسيّ، والسلوكيّ الناجم عن كبت الرغبات، وقمع المشاعر، وتعطيل الحاجات الأساسيّة في الإنسان، سيما الحاجة إلى الإشباع العاطفيّ، والجنسيّ"[1].

فالزّواج حصانة للفرد والمجتمع باعتبار أنّه يوفِّر الجوَّ الملائم للإشباع الجنسيّ والعاطفيّ، ويمكّن مع تفريغ هذا الشّحن الفطريّ في مساره الصحيح أن يبتعد بصاحبه عن المسار المنحرف.

بالإضافة إلى أنّ الزّواج تشكيل لأسرة، والأسرة تفرض على راعيها (الزّوج والزّوجة) التزامات تُبعدهم عن مساحات الفراغ، وتكبّلهم بقيود التربية والأسرة التي تجبرهم على الابتعاد عن مساحة اللا مسؤوليّة من العلاقات المحرّمة.

2- تنظيم العلاقة داخل الأسرة والأقارب

الأمن الأسريّ من الرّكائز المهمّة جدًّا لاستقرار الأسرة وبنائها، وهذا الأمن الذي يمثِّل الهدوء والسكينة له جنبات متعددة، فمنه - مثلاً - الأمن العاطفيّ والذي يحصل من خلال ممارسة المودَّة والمحبّة بين أفراد الأسرة، ومنه الأمن النّفسيّ الذي يحصل من خلال الابتعاد عن الغضب وعناصر القلق، ومنه الأمن الماليّ والمعيشيّ، وغيرها.

---

[1]- آداب الأسرة في الإسلام - مركز الرسالة - ص 14.

ويعدّ الأمن الجنسيّ من أهم أنواع الأمن الذي يجب أنْ تتوافر عليه الأسرة، فيأمن الابن لأبيه، وتأمن البنت لأبيها وأخيها، ممّا يحول دون الوقوع في علاقة جنسيّة شاذّة تُربك الأمن، وتُؤثّر سلبًا على نسيج الأسرة واستقرارها.

والإسلام من خلال تشريع منظومة المحارم حاول أنْ يوجد الأمن الجنسيّ الأسري، فيقول المولى سبحانه: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) النساء/23.

وتبتني منظومة المحارم على إيجاد إشارة قويّة للعقل مفادها أنّ هذه الدّائرة من العلاقة بالنّساء لا يمكن لها أنْ تحدث أبدًا، ليُرسل العقل بعد ذلك رسالة أخرى لكلّ مكامن الغريزة والشّهوة في النّفس؛ لتحجب نفسها عن أيّ ممارسة جنسيّة تجاه هذه الأطراف، فتتعطل الغريزة المنحرفة داخل الأسرة، ويحصل الأمن المطلوب.

فتحريم المحارم يعدّ حصانة مهمّة تحصّن الإنسان من الوقوع في المعصية، ولا يجوز للإنسان أنْ يفكّر أبدًا في هدم هذه الحصانة.

فمن الخطأ جدًّا أنْ يُخاطب الإنسان نفسه – مثلاً – بهكذا خطاب (لو لم تكن ابنتي أو خالتي لتزوّجتها)، هذا الحديث النّفسي من شأنه أنْ يحطِّم السياج الأمنيّ الذي فرضه الله سبحانه.

وليكن الحديث النّفسي: (هي حرام عليّ لا يجوز لي أنْ أقاربها، أو أقربه) حديثَ حاسم، وقاطع يقطع الطريق أمام المعصية، وخيالاتها.

3– الغضّ من النّظر الشهويّ

يقول المولى سبحانه وتعالى للرّجال: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) النور/30، وللنّساء أيضًا: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ..) النور/31.

حاول، وحاولي أنْ لا تنظرا للآخر نظرًا شهويًّا تلتذا به، أو تنظرا إلى الأماكن التي لا يجوز لكما النّظر إليها، وكلّما وجدتما أنّ النّظرة تحوّلت لجهة الشّهوة، أو تلك الأماكن تذكّرا هذه الآية، وأمرَ الله سبحانه.

لتكبحا أعينكما، لأنّ الكفّ عن هذا النّوع من النّظر يمثّل حصانة لكَ ولكِ من الوقوع في العلاقات المحرّمة.

فتعبير المولى: (ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ..) يشير إلى الحكمة من وراء غضّ البصر يفسرها الشهيد المطّهري، فيقول:

"إنّ الإسلام لا يريد للناس أنْ تنشغل أذهانهم، وتتوافر أمامهم أسباب إثارة شهوتهم أكثر ممّا تستوجبه الطبيعة في إشباع الغريزة الجنسيّة، فكلّ ما لا يراه الإنسان لا يفكر فيه"[1]، فكفّ النّظر يمثّل حصانة مهمة.

4- الستر الشرعي والحجاب

يقول المولى سبحانه: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...) النور/31.

* الستر الشرعيّ للرّجل والمرأة

[1]- تفسير سورة النور، مطهري، دار النبلاء، ط1، ص62.

والحديث أولاً عن المرأة حيث فرض الله عليها أنْ تستر بدنها إلا ما يستثنيه البعض من فقهائنا كالوجه والكفّين عن كلّ ناظر أجنبيّ مميّز، ويتلخّص الوجوب هذا في فكرة الحجاب الشرعيّ، وينبغي أنْ لا نفهم مسألة الحجاب في إطار ذاك القماش الذي يُوضع على الرّأس وفقط، فالحجاب في نظر الشريعة ليس هو ذاك وفقط بل هو ستر لجميع البدن إلا ما استُثني بشروط مهمة تتمثل فيما يلي:

أ- أنْ يكون الساتر ساترًا للبدن والبشرة، فلا يكون رقيقًا شفّافًا.

ب- أنْ لا يحكي ويفصّل أعضاء البدن في إثارة تُفقد الهدف والغاية من الحجاب والستر الشرعيّ.

ت- أنْ لا يكون ملفتًا بزينة تجلب الأنظار، وتثير الشّهوات.

فقد تستر المرأة تمام بدنها، ولكن تبقى الأعيُن الشهويّة تلاحقها أينما ذهبت، ذلك أنّها سترت، ولكن بشدّ وضيق، أو بألوان زاهية ملفتة تبرز مفاتنها، وتكون عاملاً مساعداً لتحريك مكامن الفتنة والإثارة عند من ينظر إليها ويشاهدها.

ثم ننتقل لستر الرّجل، فالمولى فرض عليه أيضًا سترًا في قوله: (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ..)، فلابد من ستر العورة للرجل عن أيّ ناظر، وعليه أنْ يتنبّه إلى أنّ بعض الأماكن والمجتمعات تفرض

عليه لباسًا قد يختلف عن تلك الأماكن الأخرى، فملابس الكرة محلّها الملاعب لا المجمعات والأسواق، إذ وجود الشباب في المجمعات بملابس خفيفة تُظهر مفاتنهم يُعدّ إفسادًا وإغراءً للفتيات والشابات وهذا لا يرضاه الشارع أيضًا.

ومسألة الستر ليست مقتصرة على ما لو كنّا خارج البيت، ففي البيت يجب أيضًا أنْ نلتزم بالستر الذي يحفظ النظرات في إطارها الصحيح، فما نجده بين الأخوات والإخوة بعضهم البعض من تساهل في إبداء الصدر، أو الفخذ، أو غير ذلك من مفاتن هي ممارسة غير صحيحة، لأنّها توقظ عنفوان الشهوة في قلوب بعضهم البعض.

ويمكن لنا أنْ نلخّص فلسفة الستر الشرعيّ: بأنّ للستر دور يقوم به الفرد؛ لتحصين نفسه من النظرات المشبوهة وبالتالي يوفّر على نفسه شوطًا من التّحرّشات التي قد تُتعب نفسيّته، أو يركن لإغراءاتها، بالإضافة إلى أنَّ الستر يقدّم تحصينًا للآخر، فيحجب عنه عناصر الفتنة، ويجعل نظره متركِّزًا في الإطار الصحيح والجائز.

فالحجاب والستر دور يقوم به الذّكر والأنثى كمساهمة في حفظ مجتمعهم، وتحصينه.

5- الاتزان في حركة الأجساد وفي الكلام

يبدو أنّ المسألة لا تقف عند الستر الذي يتعلّق بالملبس، فالأجساد وإنْ سُترت يمكن لها أنْ تُخادع، فتمارس الإغراء بوسائل أخرى لم يهمل الإسلام التّصدّي إليها، فيقول سبحانه: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ..) النور/31، (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) الأحزاب/32.

كانت النّساء تلبس الخلخال في الرِجْل، وكانت بعض النساء تضرب برجلها الأرض؛ ليعلم أنّها ذات خِلخال، وهو في واقع الأمر فعل الغرض منه إغراء الرّجال، وإيقاد مكامِن الشّهوة في نفوسهم؛ ليتنبّه الرّجل للمرأة هذه، ويلتفت ويتصوّر حال الخِلخال المخبَّأ، وغير ذلك من خيالات جنسيّة قد تذهب بها الشّهوة بعيدًا.

وهنا تظهر لنا دقّة الإسلام، فهو لم يهمل هذا الفعل، بل ونهى عنه، ومنه نفهم أنّ كلّ فعل، أو حركة جسديّة إغرائيّة، فهي منهيٌّ عنها في الشريعة السمحاء.

والآية الثانية في قوله: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ..) هي في الإطار ذاته، فالخضوع في القول حرام، وهو: "ترقيق الكلام، وتليينه مع الرّجال بحيث يدعو إلى الرّيبة، ويثير

الشّهوة، فيطمع الذي في قلبه مرض وهو الفاقد لقوّة الإيمان التي تردعه عن الميل إلى الفحشاء"[1].

فالاتزان في حركة الأجساد، وفي الكلام أمر مطلوب للحدّ من العلاقات المحرّمة والمشبوهة، بعيداً عن كل ألوان الإثارات الجسدية أو الكلامية، من خضوع في الكلام وغزل وتمايل في مشية أوضحك وقهقهات.

6- التحلّي بالعفّة والحياء

يقول المولى سبحانه: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..) النور/32، (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ..) القصص/25.

وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن، والفرج)[2]، وعن الإمام عليٍّ (عليه السلام): (العفّة تضعف الشهوة)[3]، وعنه أيضًا (عليه السلام): (ألا وإنّ القناعة، وغلبة الشّهوة من أكبر العفاف)[4]، وعنه (عليه السلام):

1- تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج 16 - ص 309.

2- ميزان الحكمة - ج 3 - ص 2007.

3- (م،ن)

4- (م،ن)

(العفاف يصون النّفس، وينزّهها عن الدّنايا)[1]، وعنه (عليه السلام): (الحياء يصدّ عن الفعل القبيح)[2].

العفّة والحياء يمثّلان حجاب القلب والرّوح، فالحجاب المتمثّل في الستر يمثّل الحجاب الظّاهريّ، وهو لا يمكن أنْ يتمّ إلاّ بحجاب للنّفس والرّوح يمنعها من الحرام، فالسياج سياجان: سياج خارجيّ هو الستر والحجاب، وسياج داخليّ هو العفّة والحياء.

وهما عبارة عن الوازع والتربية النّفسيّة والرّوحيّة على القناعة بما لديك، وصرف الذّهن عن الحرام، وكبح أيّ حركة للشّهوة خارج مسارها.

خطوات مهمّة يجب أنْ يتّبعها الجميع وبوجه خاصّ مَن لم يتوافر على الإشباع الجنسيّ بعدُ، ولذلك أمرهم المولى: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..)، فالإشباع الجنسيّ حاجة تُلحّ على الإنسان، وهي واقع الأمر عبارة عن أزمة نفسيّة جنسيّة شديدة لا ينبغي أنْ نستسلم لها، فتهيم النفس في خيالات الجنس، فنقع في القلق والإرباك الدّائم.

ويكون إيقاف جماح الشهوة بإقناع النّفس بما قسمه الله لي في هذه الدنيا من تأخّر موضوع الزّواج، أو عدم حصوله عند

---

[1]– المصدر السابق، ج2، ص1447.

[2]– المصدر السابق، ج1، ص717.

البعض، ولكن لأُبقي الأمل مفتوحًا لِفَرَجٍ من الله يأتي (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...).
فالعفة والحياء حصانة أخرى في غاية الأهمية.

7- الابتعاد عن المصافحة واللّمس للجنس الآخر

يُحرّم الإسلام اللّمس الشهويّ، أو المباشر لبدن الأجنبيّة بالنّسبة للرّجل، وبَدَن الأجنبيّ بالنسبة للمرأة، بل ويحرّم اللّمس الشهويّ حتى لبدن المماثِل في الجنس.
وتعدّ المصافحة المباشرة للجنس الآخر من مظاهر حرمة اللّمس، ونهي الشارع عنها يقع في سياق تحريم ما قد يحدث في النّفس من انفعالات تنقلها اليد واللّمس.
ولا تبرّر ظروف العمل ومتطلبات العلاقات الاجتماعيّة، بل ولا حتى حفلات تكريم المتفوّقين ذلك التلامس، والأمر سارٍ وتحقّق الأثر جارٍ حتى مع لبس (قفّاز)، أو ما شابهه.
ومن هنا لا بدّ من الانتباه التّام إلى ذلك.

8- الابتعاد عن الخلوة المحرّمة

الخلوة بالجنس الآخر والاختلاء به اختلاءً تامًّا لا يعكّر صفوه قاطع يقطعه هو اختلاء تتهيَّأ فيه خيالات الحرام، وأجواء تحثّ

على الجنس وتدعو له، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (سبب الفجور الخلوة)[1].

لذلك ينهى الشارع عن مثل هذا النّوع من الخلوة الذي يستلزم الوقوع في الحرام ولو من جهة النّظرة المحرّمة، أو الكلام المحرّم ونحوه.

ومقتضيات العمل، وجلسات الحوار، أو النقاش وغيرها من الأعذار الواهية في ظل الظروف الموجودة وعوامل التأثير المحتملة جداً؛ لا تبرّر الخلوة مطلقًا.

فابتعد عن الخلوة هذه، ولا تضع نفسك في اختبار لا تقدر عليه، وافتح السبل لقطعها دومًا.

9- الحد من انفلات واقع الاختلاط

أصبح الاختلاط بين الرّجال والنّساء سمة هذا العصر، وأمرًا طبيعيًّا ومفروغًا عنه عند أكثر النّاس، بل هو يمثّل – عند البعض – أمرًا ضروريًّا ولا بدّ منه، فلا تقدّم للإنسان، ولا للحياة

---

[1]- المصدر السابق، ج2، ص1233.

دون حالة الاختلاط بين الرّجال والنّساء، بل إنّ الإنسان – كما يروّج هؤلاء – غير قادر على التّعاطي السّليم مع الطرف الآخر إلا في ظلّ حالة اختلاط واندماج مجتمعيّ بين كلّ أفراده.

وهنا لا بدّ من وقفة مع هذه القضية؛ لنتلمّس أبعادها وآثارها من خلال متابعة مواقع وجود الاختلاط، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- الاختلاط في مواقع الدّراسة والتّحصيل العلميّ

فرغم الفراغ عن التّأثيرات السلبيّة للاختلاط بين الذّكور والإناث في مواقع الدّراسة، إلا أنّنا لا زلنا نرى مَن يتعاطى معها بشكل طبيعيّ، ورغم أنّ مواقع الدّراسة الأساسيّة الحكوميّة تعتمد الفصل – إلى الآن – إلا أنّه لا بدّ من الإشارة إلى موقعين مهمين: التّعليم الخاصّ والدّراسة الجامعيّة، فالمدارس الخاصة والكليّات والجامعات على اختلاف أنواعها – إلا ما شذّ وندر – تعيش حالة الاختلاط في الواقع التّعليميّ، وفي كلا هذين المجالين نجد التّأثيرات السلبيّة الكبيرة للاختلاط

بـين الطّـلاب والطّالبـات سـواء علـى النّاحيـة العلميّـة والتّحصـيليّة، أم علـى النّاحيـة النّفسـيّة والأخلاقيّـة والسلوكيّة.

2- الاختلاط في مواقع العمل

وهو البلاء الأكبر، خصوصًا مع خروج المرأة للعمل بأعداد مهولة جدًّا سواء كان ذلك لداع أم بدون داع وضرورة، فأصبحت مواقع العمل ساحات مفتوحة لعلاقات بين الرّجل والمرأة، وهنا حينما لا يكون الدين حاكمًا، ولا تكون القيم هي الضابطة، ويكون التّعاطي العمليّ تعاطيًا يحمل الكثير من التّساهل والتّهاون، فترى التّحيات الخاصّة والكلمات المنمّقة والنّظرات العميقة والبسمات والتّعليقات، مع لباس متأنِّق وجذّاب وروائح عطر زاكية تحرّك النّفوس، يحدث كلّ ذلك بشكل يوميّ ومتكرِّر، فماذا ستكون النتيجة؟!

وهنا نغالط أنفسنا بافتراض البراءة والطبيعيّة في كلّ هذه الممارسات، فما قد يكون بريئًا وطبيعيًّا في أوّل

مراحله لا ضمانة على الإطلاق بأنْ يبقى كذلك، بل لن يبقى كذلك يقينًا خصوصًا في ظلّ تأثيرات تحيط بالرّجل وبالمرأة من كلّ جانب ومكان.

3- الاختلاط في المواقع الاجتماعيّة

ويتمثّل ذلك في الاختلاط الحاصل في المناسبات الاجتماعيّة المختلفة كالأعراس واللّقاءات الاجتماعيّة، أو في مواقع التّسوّق والمجمّعات التّجاريّة، أوفي إطار العمل الاجتماعيّ في مساحاته المختلفة، وكذلك المساحات الثّقافيّة والسياسيّة المتنوّعة.

4- الاختلاط داخل الأُسر

حيث توضع كلّ الضوابط والقيود جانبًا، فتتداخل الأُسر بكلّ مكوّناتها، وتغيب القيود والضوابط الشّرعيّة.

وما لم نستطع أنْ نتعاطى بجديّة مع هذه المشكلة، فإنّنا نفتح الباب على مصراعيه للمزيد من حالات الانفلات، والعديد العديد من أنماط العلاقات المحرّمة، بل تتهاوى معها أسس التربية والأخلاق، وتتصدّع معها أركان الأُسر والعوائل المؤمنة.

لـن تنمـو شخصـيّة الإنسـان فـي أجـواء مختلطـة إنْ لـم تتحـادر وتتسـافل، ومـا يُـدّعى مـن نمـو شخصـيّة وتطـور أفـق علاقـات اجتماعيّة إنّما هو وهم زائف، وخداع للنّفس، ومحاولـة للتّغطيـة والالتفـاف علـى النتـائج السـلبيّة الكبيـرة للاخـتلاط، فلـم يصـقل الاختلاط بهذا النحو شخصيّة إنسان.

وكفاية الإيمان الدّاخلي والأخلاق لعدم الوقوع في المحذور كلمة حـقّ يـراد بهـا باطـل، فالإيمـان يمثّـل فعـلاً الحصـانة الحقيقيّـة والضمانة الأكبر، لكنّه يحتاج إلى تحصين واقعيّ ويعتمد على برنـامج عملـيّ ومـن أحـد أهـم جوانبـه وعناصـره أنْ لا يقتـرب الإنسـان مـن مواقـع الخطـر، وأنْ يتجنّـب المزالـق التـي يمكـن أنْ تسقطه في أيّ لحظة، فأنت لا تقرّب الورقة من النّار وتريدها ألا تحتـرق، ولا يمكـن أنْ تُلقـي بإنسـان فـي بحـر مـتلاطم المـوج، وتطلـب منـه عدم الغرق مهما كـان محصّـنًا بمهارة فـي سباحة، وغير ذلك.

والتّـأثيرات النّفسـيّة والسـلوكيّة ليسـت تـأثيرات مباشـرة وسـريعة ودفعيّـة غالبًـا، بـل تتحـرّك كمـؤثرات خفيّـة هادئـة فـي أغلـب

الأحيان، لا يلتفت فيها الإنسان إلا وقد أصبح على شفا سقوط في هاوية عميقة، وقلّ مَن يستطيع النّجاة منها.

وفي كلّ موقع حكمت فيه الضرورة بالاختلاط، فلا بدّ أنْ يكون في حدود معيّنة لا يتجاوزها، ومع ضوابط صارمة لا يتعدّاها حماية للإنسان المؤمن رجلاً كان أو امرأة وصيانة لواقعهما وتحصينا لإيمانهما.

10- عدم التّشبّه بالنساء أو بالرّجال

نلاحظ في هذا الزّمان وجود حالات بدأت تتجاسر في الإعلان عن نفسها من الرّجال ممّن يُعرفون (بالمخنّثين)، ومن النّساء مَن يعرفنَ بـ(البُوية)، وهم حثالة من المجتمع لا يرضون بجنسهم، ويميلون لممارسة دور الجنس الآخر.

رجل ولكن يلبس ملابس النّساء، ويمشي مشيتهنَّ، ويضع البودرة ومساحيق التّجميل، وامرأة تلبس ملابس الرّجال، وتتصرف كالرّجال.

حالات شاذّة تشجّع على العلاقة المثليّة من لواط ومساحقة محرّمين تحريمًا بالغًا في الشريعة، والشارع نهى عن هذه

المظاهر ودعا لمحاربة هذه الفئة المنحلّة والساقطة في المجتمع ممّن تمارس فعل قوم لوط.

وتكون هذه الفئة مفضوحة بما تلبس، وبما تمارسه من سلوك شاذٍّ تحاول من خلاله التّشبه بالجنس الآخر.

وتبدأ المشكلة عادّة بالظهور في فترة المراهقة حيث لا يتوافر الإشباع للغريزة عادّة بالطرق المشروعة، فيسير ضعاف النّاس إلى ممارستها بالطّرق المحرّمة مع الجنس المماثل، وعندها تتبدّل الأدوار، ويلعب أحدهم دور الرّجل والآخر دور الأنثى، ولمّا تتكرر الممارسة الجنسيّة وتتكاثر يحدث في النّفس ميل وشذوذ لجعل الشهوة تسير في هذا المسار المخالف للفطرة التي فطر الله النّاس عليها.

فمرحلة المراهقة من المحطات الحياتيّة التي يجب أنْ تُراقب، وتوجّه وإلا كانت العواقب وخيمة.

11-التفريق بين الذّكر والأنثى في المضاجع

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (الصبيّ والصبيّ، والصبيّ والصبيّة يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين)[1].

---

[1]- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج 5، ص 28 .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (يفرّق بين الصبيان في المضاجع لست سنين)[1].

إجراء مهمّ ينبغي أنْ لا يهمل إذ "في هذه الأحاديث نجد أنّ التشريع الإلهي ينسجم مع قانون الفطرة والخلقة، فيأمر الاسلام بالتفريق بين مضاجع الأطفال الذين يتجاوزون الستّ سنوات حتى يمنع من اتصال أجسامهم بشكل مثير للغريزة الجنسيّة، بما يتناسب مع قانون الخلقة الذي يقضي بجمود وضمور هذه الغريزة في الفترة التي هم فيها"[2].

فإنْ كانوا صبيةً، أو صبيات فباعد بين مضاجعهم وفُرشهم، وإنْ كانوا صبية وصبيات فاجعل للصبية غرفة وللصبيات غرفة، هكذا تمنع من الاحتكاكات الجسديّة التي قد توقظ الشّهوة قبل أوانها، وقبل نضج العقل والإيمان اللّذين يمنعانها، فيقعون فيما لا يرضاه الله سبحانه.

12-العقوبات الصارمة

1- (م،ن).

2- الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي فلسفي - ج 2 - ص 277، بتصرّف.

شرّع الإسلام عقوبات تتناسب وقباحة العلاقات الجنسيّة، وآثارها الهدّامة، فنقرأ: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) النور/2.

عذاب جسديّ قد يصل في مثل المُحصن للرّجم، وللزّاني بالمحرم للقتل بحدّ السيف، وعذاب نفسيّ بأنْ يطلّع النّاس، ويحضروا إقامة الحدّ عليهما.

وكذلك جعل لبقيّة العلاقات من لواط، ومساحقة، وقوادة، ولمس، وتقبيل، وغيرها حدودًا وتعزيراتٍ شديدةً رادعة لو طبّقت لأوجدت خوفًا وخشية تردع عن ارتكاب المحرّم.

أمّا القوانين اليوم بضعفها وبثغراتها تُوجد جسارة وجُرأة على العصيان بدلاً من الإطاعة، فها هي الممارسات التي تقوم بين أطراف برضاهم لا يعاقبون عليها، فغير قضايا الاعتداء لا تصل إلى أروقة المحاكم، والدّاعرات لو أُمسكنْ، فأقصى عقوبة تطبّق عليهنّ التّسفير إلى أوطانهنّ!!

هل هذه القوانين قويّة كفاية لردع المنحلّين والقضاء على الانحلال، والعهر؟!

* النهوض بفريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

إنّ المجتمع حلقات مترابطة بعضها ببعض، ولا يمكن لنا أنْ نُهمل ما يقوم به بعض الأفراد من معصية، ومن ممارسة للعلاقات المحرّمة، ونقابل أفعالهم باللامبالاة اعتمادًا على مبدأ (النّار إذا لم تكن في داري، فلا أبالي)!!

إنّ أيّ انحراف في أفراد المجتمع يجب أنْ يعالج سريعًا وإلا سرى في جسد المجتمع ليقضي عليه كالنّار التي في دار جارك، فهي في داره وبعد قليل تكون في دارك ما لم تُخمد.

والإسلام لم يُهمل الممارسات المنحرفة التي يقوم بها البعض، فأوجب فريضة (الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) يقول تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران/104.

وورد عن الإمام عليّ (عليه السلام): (قوام الشريعة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر)[1].

---

[1]– ميزان الحكمة 1940/3، محمد الريشهري، الطبعة الأولى، تحقيق وطبع ونشر: دار الحديث.

وهي فريضة تُعدّ وسيلة مهمّة جدًّا في مواجهة الإنحراف والمعصية في مواقع المجتمع المختلفة، وتمثِّل حصانة وإطارًا يحجّم المعصية، ويحول دون انتشارها.

وخطاب الإيجاب في الآية متوجّه لكلّ المجتمع بضرورة أنْ تنبري فئة منه تتولّى مهمّة ملاحقة الانحراف والدّعوة للخير، وتكون هذه الفئة في نشاطها قادرة على النهوض بمسؤوليّاتها، ومهامها المتمثِّلة في صدّ الانحراف، ومحاصرته.

* المسؤوليّة على الجميع

ولا يخفى أنّ موج الانحراف والفساد في هذا الزّمان قد علا وارتفع كثيرًا ممّا يفرض على الجميع نهوضًا بمسؤوليّاتهم، وبوظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كلٌّ في موقعه وجهته.

فالأبوين لا بدّ لهما أنْ يُمارسا دورهما في رقابة أبنائهم وبناتهم رقابة تحول دون وقوع الأبناء والبنات في براثن المعاصي والذّنوب، وعلى الإخوة أنْ يمارسوا دور الالتزام بالنّصيحة والتسديد لبعضهم البعض داخل الأسرة لا أنْ نكون في مركب واحد وكلٌّ منّا يفعل ما يشاء، يقول الباري سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..) التحريم/6.

فيجب أنْ يتفعّل في الأسرة دور وقاية بعضهم بعضًا من النّار، والذي لا يكون إلا من خلال التّناصح والمراقبة، للابتعاد عن المعاصي، والعلاقات المحرّمة.

ثمّ على النُخب الواعية والمثقّفة من علماء وخطباء وأساتذة وتربويين أنْ يضّلعوا بدور التّثقيف والإرشاد والتوجيه لشبابنا وشاباتنا بعدما تكالبت علينا ثقافة الإغراء والانحراف من الغرب من كلّ حدب وصوب، فقوّة الهجمة يجب أنْ تواجه بقوّة الوحدة والتعاون على الخير، يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..) التوبة/71، (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى..) المائدة/2.

فما أعجب من وحدة المنحرفين على انحرافهم وضلالتهم، وفرقة المؤمنين على حقّهم وإيمانهم!!

* مسؤوليّة الدول والحكومات

إنّ انتشار الفساد والانحراف، وشيوع العهر والمجون تتحمل الدّول والحكومات جزءًا كبيرًا من مسؤوليّته، فهي التي تسهّل في كثير من الأحيان استقدام العاهرات من شتى أنحاء العالم، وتُبيح شرب الخمرة في الفنادق، وتُصرّح للمراقص، وتشجع لها، وتُنظِّم لحفلات الغناء للمطربات والرّاقصات، وغير ذلك.

"فمن الغباء والحماقة أنْ نتصوّر أنّ هذه «الممارسات العابثة» تتحرّك في غفلةٍ من «أجهزة الحكم»، و«رقابة السُلطات»، وإنّه من البلاهة وأيّ بلاهة أنْ نحّمل المسؤوليّة إدارة فندق هنا أو فندق هناك، إنّنا يجب أنْ نملك الصراحة والجرأة والشجاعة؛ لنحمّل «السُلطة» مسؤوليّة هذا الانتهاك الخطير لقيم الدّين، ومشاعر المسلمين وإلا فسوف نضحك على أنفسنا"[1].

فالدّول والحكومات مطالبة بأنْ تلاحق الفساد، وتتحرّك لتنفيذ القوانين، وتعمل على تشريع العقوبات الرّادعة التي تردع كلّ العابثين بسلامة المجتمع، وعلاقاته.

---

[1]– حديث الجمعة 39، السيد عبدالله الغريفي، موقعه الإلكتروني: www.alghuraifi.org.

خاتمة

التوبة هي سبيل خلاص للمتورّطين

بعد كلّ ما قلناه، وبيّناه من هول ودمار تُحدثه العلاقات المحرّمة والمشبوهة التي لا يرضى بها الله عزّ وجلّ، ألم يحن الأوان لكلّ المتورّطين فيها أنْ يعودوا إلى رشدهم، وسلامة فطرتهم، ويتوبوا إلى بارئهم عزّ وجلّ: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ..) الحديد/16.

نعم التوبة لله عزّ وجلّ ذلك الباب المفتوح الذي يأتي منه الشعاع والضياء لدنيا المذنب المظلمة هي الفرصة؛ لنعود للضياء

والنّور، ونصحّح المسار، ونسير نحو درب الاستقامة لله سبحانه.

ربّ عطوف رحيم بعباده عصاه العِباد واجترؤوا عليه، ولم يقيموا وزنًا لربوبيّته، وأسرفوا في العصيان والطغيان، فأهلكوا الحرث والنسل، وبعد كلّ هذا العصيان فإذا بجواب الله لهم جميعا: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور/31.

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) الشورى/25.

(..وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الأحقاف/8.

(..فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة/37.

لا داعي لليأس، بل ليس لك أنْ تيأس وتقنط من رحمة الله وهو الذي يقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...) الزمر/53، 54.

فلقد آنَ أوان التوبة لله سبحانه قبل الفوت فعندها لن يجديَ الندم شيئًا، و(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الزمر/56-59.

فالتوبة هي السبيل لخلاصك من ورطتك، وهي الباب المفتوح؛ لكي تقلع عن المحرم، لتعود إلى مسار الهداية والصلاح، وتكون العنصر المؤمن الذي يملأ الحياة نورًا لا ظلمة دامسة.

المصادر

1- القرآن الكريم.
2- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، دفتر نشر الكتاب، إيران، ط2.
3- الوسائل، العاملي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط5، [1-20].
4- ميزان الحكمة، الري شهري، دار الحديث، إيران، ط1، [1-4].

5- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، جماعة مدرسين، إيران، [1-20].
6- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، إيران، [1-20].
7- تفسير سورة النور، مطهري، دار النبلاء، لبنان، ط1.
8- الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، دار سبط النبي، إيران، ط2، [1-2].
9- آداب الأسرة في الإسلام، مركز الرسالة، ستارة، إيران، ط1.
10- حديث الجمعة 39، السيد عبدالله الغريفي، موقعه الإلكتروني: www.alghuraifi.org